

خطب الإمام الحسن عليه السلام (دراسة لغوية في ضوء المناسبة)

الدكتور مهدي صالح سلطان

مصـدر الفـهرسـة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقـم تصـنيـف LC : BP١٩٣,١٢.A٢ S٨ ٢٠٢٠

المؤلف الشخصـي : الشمري، مهدي صالح سلطان، ١٩٥٠- . – مؤلف.

الـــعـــنـــــــوان : خطب الامام الحسن عليه السلام : دراسة لغوية في ضوء المناسبة /

بـيــان المسـؤوليـة : الدكتور مهدي صالح سلطان.

بـيــانـــات الطــبـــع : الطبعة الاولى.

بــيــانـــات الـنـشــر : النجف، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مركز الامام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية، ٢٠٢٠ / ١٤٤٠ للهجرة.

الـوصـف الــمــادي : ٢٨٢ صفحة ؛ ٢٤ سم.

ســلـسـلـة الـنـشــر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧٠٥).

ســلـسـلـة الـنـشــر : (مركز الامام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية ؛ ٦٥).

تبصرة ببليوجرافية : يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٣١- ٢٤٢) ؛ وكشافات.

موضوع شخصـــي : الحسن المجتبى، الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الثاني، ٣-٥٠ للهجرة – خطب.

مصطلح موضوعي : الخطب الدينية الاسلامية (شيعة).

مصطلح موضوعي : البلاغة العربية.

اسم هـيـئـة اضـافي : العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز الامام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

خطب الإمام الحسن

دراسة لغوية

في

ضوء المناسبة

الدكتور
مهدي صالح سلطان



العراق- النجف الأشرف
www.imamhassan.org
info@imamhassan.org
+964 7803358020

هوية الكتاب

اسم الكتاب:..........خطب الإمام الحسن عليه السلام (دراسة لغوية في ضوء المناسبة)

المؤلّف:..........................الدكتور مهدي صالح سلطان

الطبعة:..الأولى

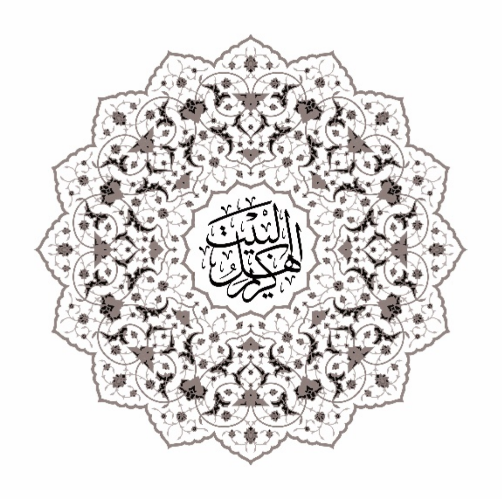
سنة الطبع:..................................١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

عدد النسخ:.....................................١٠٠٠ نسخة

الناشر:.....................مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصّصية

التصميم والإخراج الفني:......................وحدة الإخراج الفنّي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ١٠٢٣ لسنة ٢٠١٨


الى كريم اهل البيت

مقدّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق أجمعين محمّد وآله الطيِّبين الطاهرين، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم أجمعين إلىٰ قيام يوم الدين، آمين ربَّ العالمين.

أهل البيت عليهم السلام شخوصٌ نورانيَّة وأشخاصٌ ملكوتيَّة، منها ولأجلها وُجِدَ الكَوْن، وإليها حسابُ الخَلق، يتدفَّقون نوراً وينطقون حياةً، شفاههم رحمة وقلوبهم رأفة، وُضِعَ الخير بميزانهم فزانوه عدلاً، ونَمَت المعرفة علىٰ ربوع ألسنتهم فغذّوها حكمةً.

أنوارٌ هداة، قادةٌ سادات (ينحدرُ عنهم السيل ولا يرقىٰ إليهم الطير)، ألفوا الخَلق فألفوهم، تصطفُّ علىٰ أبوابهم أبناء آدم متعلِّمين مستنجدين سائلين، وبمغانمهم عائدين.

لا يُكرِهون أحداً علىٰ موالاتهم ولا يجبرون فرداً علىٰ اتِّباعهم، يُقيِّد حبُّهم كلَّ من استمع إليهم ويشغف قلبَ كلِّ من رآهم، منهجهم الحقُّ وطريقُهم الصدق وكلمتُهم العليا، هُم فوق ما نقول ودون ما يُقال من التأليه، هُم أنوار السماء وأوتاد الأرض.

والإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو أحد هذه الأسرار التي حار الكثير في معناها وغفل البعض عن وجه الحكمة في قراراتها وباع آخرون دينهم بدنيا غيرهم فراحوا يُسطِّرون الكذب والافتراءات عليه والتي جاوز بعضها حدَّ العقل ولم يتجاوز حدَّ الحقد المنصبِّ علىٰ بيت الرسالة.

وقد اهتمَّ مركـز الإمـام الحسـن عليه السلام للدراسـات التخصّصـية بكتابـة البحوث والدراسات وتحقيق المخطوطات التي تُعنَىٰ بشأن الإمـام الحسـن المجتبىٰ عليه السلام ونشـرها في كتـب وكتيّبـات فضـلاً عـن نشـرها عـلىٰ مواقـع الانترنت وصفحات التواصل الاجتماعي التابعة للمركز.

بالإضـافة إلىٰ النشـاطات الثقافيَّـة والإعلاميَّـة الأُخـرىٰ التـي يقوم بها المركز مـن خـلال نشـر التصـاميم الفنّيـة وإقامـة مجـالس العـزاء وعقـد المحـاضرات والنـدوات والمسـابقات العلميَّـة والثقافيَّـة التـي تثرىٰ بفكـر أهـل البيـت عليهم السلام وغيرهـا مـن توفيقـات الله تعـالىٰ لنـا لخدمـة الإمام المظلوم أبي محمّد الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

وهـذا الكتـاب الـذي بـين يـديك عزيـزي القـارئ هـو أحـد تلـك الثمار التي أينعـت والتـي لا تهـدف إلَّا إلىٰ بيـان شخصـيَّة الإمـام الحسـن المجتبـىٰ عليه السلام بكـلِّ أبعادهـا المضـيئة ونواحيهـا المشـرِقة، ولرفـد المكتبـة الإسلاميَّة ببحـوث ودراسـات عـن شخصـيَّة الإمـام الحسـن المجتبـىٰ عليه السلام ومن الله التوفيق والسداد.

العتبة الحسينية المقدَّسة

مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصّصية

كاظم السيد محمد جواد الخرسان

المقدّمة

هـذه قـراءةٌ في الخطـب المفصـليّة المـأثورة عـن الإمـام الحسـن بـن علـيّ بـن أبي طالـب عليه السلام (٣-٥٠هـ)، ونظـرٌ جديـدٌ إلى ألفاظهـا ومعانيهـا وتراكيبهـا ودلالاتهـا، ومحاولـة لإزالـة الغمـوض والتشـويش الـذي أحـاط بهـا، اسـتنادًا إلى التحليـل اللغـويّ في ضـوء مناسـباتها الـذي نرجـو أن يكشـفَ عـن شخصـيّة الإمـام الحقيقيّـة، ومـا أراده مـن هذه الخطـب، في الأجـواء التـي انبثقـت عنهـا ولاسـيما بعـد رحيـل أمـير المـؤمنين عليه السلام؛ مـن دون إثـارةٍ لمشـاعر عـداء، بـل مجـرّد عـرضِ الحقـائق التـي تضـمنتها الخطـب كـما هـي، بعيـدًا عـن الاتخـاذ المسـبق لـوجهتي النظـر المعـروفتين عقـديًّا وسياسـيًّا؛ إذ إنّ الشـيعة يعتقـدون بالعصـمة والإمامـة الإلهيـة، وهـي عنـدهم (أصـلٌ مـن أصـولِ الـدين لا يـتمّ الإيـمان إلا بالاعتقـاد بهـا)[1]، (وإنّ الإمامـة ومؤهلاتهـا ولياقاتهـا وشروطها ومواهبهـا، فضـلًا عـن تعيّنهـا ونصوصـها، متجسّـدة في أمـير المـؤمنين، والحسـن والحسـين، والتسـعة المعصـومين مـن أبنـاء

---

(١) عقائد الإماميّة، محمد رضا المظفر ٧١.

الحسين)[1]؛ وإنّه على وفق هذا الاعتقاد، فالإمام الحسن بريء من كلِّ ما وصفه به الرواة، من مثل الانصراف إلى اللذّة والترف ومخالفة والده وشقيقه.

وبالمقابل فإنّ خصم الإمام عند من يدافع عنه كان قد (حقّق نجاحات كبيرة، وكان أوّل قرشيّ يؤسّس ملكًا عضوضًا، استفاد من دعوة الإسلام إلى الجهاد التحريري، ووءَمه مع طموحه الذاتي، [إذ] أراد تأسيسَ مُلكٍ خاصٍّ به، وأسرة مالكة تنتمي إليه)[2].

وادّعى هذا الخصم بحسب السيّد البدري تمثيل (مشروع قريشٍ المُسلمة التي حكمت أربعًا وعشرين سنة وأنتجت مضموناً فكرياً وتشريعياً... [كان] رأسُ المشروع ووريثه هو معاوية ومركزه الشام... [و] شعاره العمل بسيرة الشيخين المُؤسّسَينِ وقتالِ عليٍّ وشيعته بتهمة دم عثمان، وهو بريء منه براءة الذئب من دم يوسف)[3].

---

(١) الأخلاق الحسنيّة، جعفر البياتي، ١٤٣٤، ٦٣.

(٢) د. سهيل زكار، مقدمة كتاب: معاوية بن أبي سفيان ١٠.

(٣) صلح الإمام الحسن ٤٨.

وكـان رأيُ الـدكتور طـه حسـين في هـذا المشـروع، أنّـه (أُسِّـسَ مُلكٌ عنيف لا يقوم على الدين، وإنّما يقوم على السياسة والمنفعة)[١].

أمّا رأي الشيخ محمود أبـو ريّـة في هـذا الملـك فـ (هـو الـذي هـدم مبـدأ الخلافـة الرشـيدة في الإسـلام، فلـم تقـم لهـا مـن بعـده إلى اليـوم قائمة)[٢].

هـذا وفي الجانـب الآخـر نجـد أنّ شخصـية الإمـام الحسـن كانـت قـد أحيطـت بتصـنيع غمـوض، وافتعـال تنـاقض، وإشـعال حـروب نفسـيّة وإعلاميّـة واسـعة سـاندها جهـد الدولـة الأمويّـة ومـن ثَـمّ العباسـيّة، فضـلاً عـن ادّعـاء ضـعفٍ واسـتكانة؛ ذلـك مـا أتـاح لـبعض المـؤرخين والبـاحثين مـن القـدماء والمحـدثين مـن الإسـاءة إلى الإمـام، مـن خصـومه مـن الأمـويين، ومـن أوائـل العباسـيين الـذين زادوا عـلى الأمـويين مـا ادّعـوه مـن إسـاءات كانـت قـد فـاتتهم، ولاسـيّما الـذين واجهـوا الحسـنيّين الثـائرين في سـعيهم لتجريـد العباسـيين مـن ادّعـاء اتّباع أمير المـؤمنين عليه السلام، مـن مثـل قـول محمـد بـن عبـد الله بـن الحسـن في رسـالته إلى أبي جعفـر المنصـور: (إنّـما ادّعيـتم هـذا الأمـر بنـا وخـرجتم

(١) الفتنة الكبرى ٢/ ٢٦٩.

(٢) أضواء على السنة المحمديّة ١٠١.

بشيعتنا وحظيتم بفضلنا وإنّ أبانا علياً كان الوصيّ وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولْدُه أحياء؟! ثمّ قد علمتم أنّه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرف آبائنا)[1]، إذ إنّ العباسيين كانوا قد سَعَوا إلى ترسيخ ضعف تدبير العلويين السياسيّ، وقصورهم في إدارة البلاد، وتحميلهم مسؤوليّة الخلاف والاختلاف الذي استشرى في الأمّة؛ (قال المسعودي: ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته، صعد المنبر بالهاشمية، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارُنا، وأهلُ دعوتِنا، ولو بايعتم غيرنا، لم تبايعوا خيراً منا، إنّ وِلدَ ابن أبي طالب تركناهم والذي لا إله إلا هو والخلافة، فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير. فقام فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما أفلح، وحكّم الحكمين، فاختلفت عليه الأمة، وافترقت الكلمة، ثم وَثبَ عليه شيعتُه وأنصارُه وثقاتُه فقتلوه، ثم قام بعده الحسن بن علي رضي الله عنه فو الله ما كان برجلٍ، عُرِضت عليه الأموال فقبلها، ودسَّ إليه معاوية إني أجعلك وليّ عهدي، فخلعه وانسلخ له مما كان

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٩٦، والكامل في التاريخ ٥/ ٥٢٧.

فيه، وسلّمه إليه، وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غداً أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه، ثم قام من بعده الحسين بن علي رضي الله عنه، فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، أهل هذه المدرة السوء، وأشار الى الكوفة، فو الله ما هي لي بحرب فأحاربها، ولا هي لي بسلم فأسالمها، فرّق الله بيني وبينها! فخذلوه وأبرؤوا أنفسهم منه، فأسلموه حتى قُتِل، ثم قام من بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغرّوه)[1].

وهذه هي المقولة العباسيّة الرسميّة، أو قلِ الفرضيّة المحبوكة بإحكام التي كانوا قد فرضوها على الأمّة بحكم سلطانهم، والتي تسيء لعليٍّ ومنهجِه وولديه، ومن تبعهم دليلاً ثابتاً يستبطنونه، أو قد يظهرونه في النظر في شؤونهم، وقد تمسّك بها خلفاؤهم وولاتهم، ومن كان قد قلّدهم، وهي المنطلق في التعامل مع أصحاب الفضل عليهم في الوصول إلى الحكم، إذ التزموا مضمون هذه المقولة، تراجعاً حيناً، أو شدّة في أحيانٍ أخرى، يناصرهم في تطبيقها جَهْدَ دولتهم الديني والأدبي والإعلامي، وهذا واضح في

(١) مروج الذهب ٣/ ٣٠٠، وتاريخ الطبري ٦/ ٣٣٣ - ٣٣٤.

سلوك خلفائهم وفي مؤلفات القرون العباسيّة الخمسة وما بعدها، إلاّ ما شذّ وندر وخالف السائد المتداول، وكُتِبَ لهذه المقولة الضالّة الظالمة الرسوخ واتّساع الانتشار والتداول، حتّى كأنّها من المُسلّمات عند من لا يراجع أو يدقّق.

فيما روى أبو البركات الأنباريّ (عن ابن عباس أنّه أمسك للحسن والحسين ركابيهما حين خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسنّ منهما، فقال له: اسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلاّ ذوو الفضل)[1].

وفي زراية أهل البيت وعداوتهم يقول الصنعاني (تفرّع عن بني أميّة وبني العباس بغض الآل وكراهة الأكثر لهم وعدم الرعاية لحقوقهم، وفيه ما يدلّ على ولاة الجور والخونة لعهود الله)[2].

وقد أفاد المستشرقون وغيرهم من هذا التشويش، وهذه الإساءات في التحليل والتوجيه ولاسيما ترسيخ ضعف شخصيّة الإمام الحسن[3]، وتضييع ما بناه من منهج مراجعة وإعادة تقويم لما

---

(١) نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ٦٦ - ٦٧.

(٢) التنوير في شرح الجامع الصغير ١١/ ٢٢.

(٣) ينظر: الشائعات المشهورة ضدّ الإمام الحسن عليه السلام ٢٦٧.

جرى قبله، وما كـان يجـري في زمنـه، إذ أتـاح منهجـه في الصـلح للنـاس استيضـاح الموقـفِ الصـحيح بعـد الالتبـاس والغمـوض في ظـلّ القتـال والاحـتراب، إذ كشـف بفكّـه الاشـتباكَ الزيـفَ والانحـراف، الـذي ران على قلوب الغـافلين، لكـن لم يَتنبّـه عليـه الكثـيرون، وربـما لم يلتفـت إليـه حتـى بعـض المنصـفين، وكـان هـذا المـنهج الحسـنيّ قـد فَضَـحَ انحـراف طـلّابِ الـمُلكِ العضـوضِ، وسـعى بـما أوتي مـن سـلوك الطـرق السـلميّة والإمكانـات الخطابيّـة إلى تخلـيص المجتمـع مـن إرهـاب الخـوارج والتكفيريـين، وردّ دعـاوى عامّـة المسـتبدّين المتسـلطين الـذين عـاثوا في الأرض فسـادًا، وقـد ابتعـدوا عـن الإسـلام ومنهجه القويم.

وكـان مـن هـؤلاء المستشـرقين المتحـاملين الـذين اسـتندوا إلى المقولـة العباسـية الـدكتور فيليـب حَتّـي الـذي أفـاد مـن نـصّ المقولـة العباسـية المـذكورة آنفًـا، في زعمـه أنّ الإمـام: (لم يكـن رجـلَ الموقـفِ فانزوى عن الخلافـة مكتفيًـا بهبـة سـنوية منحـه إيّاهـا معاويـة)[1]، وأشـدّ مـن فيليـب وأدهـى الراهـب اليسـوعي هنـري لامـنس: المتخصـص بالسيرة النبويـة وبدايـة الخلافـة الأمويّـة، الـذي ربّـما لمّـح إلى الانحـراف

---

(١) موجز تاريخ العرب ٧٨.

والعياذ بالله، فيذكر أنّ الحسن عليه السلام: (كان يتّصف... بالميل إلى الشهوات والافتقار إلى النشاط والذكاء، ولم يكن الحسن على وفاق مع أبيه وإخوته... أنفق خير سنيّ شبابه في الزواج والطلاق فأُحصِيَ له المئة زيجة... وتوفي الحسن في المدينة بذات الرئة ولعلّ إفراطه في الملذات هو الذي عجّل في منيّته)[١].

لكنّ الدكتور عبد الرحمن بدوي كان قد ردّ روايات لامنس (ت١٩٢٧م) وآراءه الساقطة عن الاعتبار بقوله: (مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها؛ ويُعَدُّ نموذجاً سيّئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين)[٢].

ويصفه المستشرق الكبير تيودور نولدكه: بـ (الباحث الناشئ... الأكثر تطرّفاً)[٣].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٢) موسوعة المستشرقين ٥٠٣.

(٣) تاريخ القرآن ٤١٣.

ويقـول نولدكـه نفسُـه في تقـويم آراء لامـنس ولاسـيما في القـرآن والنبـيّ وأهـل بيتـه: (ليسـت خاليـة مـن سـوء الظـنّ المبـالغ فيـه مـن ناحية، ومن التنـاقض والتحيّـز الـديني مـن ناحيـة أخـرى... يأخـذ مـن المصادر كلّ مـا هـو قبـيح وسـيِّئ مـن غـير تمحـيص... وفي هـذا بطبيعـة الحـال مبالغـة كبـيرة... [و] ينبغـي أن تسـتعمل أعـمال لامـنس المـذكورة بحذر)[١].

واللافـت أنّ أهـل الإسـاءة كـانوا يحصـرون اتخـاذ موقـف السِّـلم والموادعـة وتسـليم الأمـر بشـخص الإمـام وحـده، مـن دون النظـر إلى مجمـل مـا كـان يحـيط بـه مـن ظـروف موضـوعيّة قـاهرة، لا بُـدّ مـن دراستها وأخذها بالحسبان، تلك التي أجبرته على القبول والتسليم.

وفي المقابـل يـرى المنصـفون أنّ لـه مشـروعاً في النهضـة والإصـلاح يـتمّم بـه مشـروع مـن سـبقه، ويهيّـئ لثـورة مـن جـاء مـن بعـده، وأنّ إعـادة قـراءة مـا يتّصـل بالإمـام الحسـن ولاسيّما خطبـه، قـد تكون مفيـدة في مراجعـة جدّيّـة لمواقـف يـراد بهـا جمـع أبنـاء الأمّـة عـلى وجهـات تبعـث الأمـل في إمكـان الحـوار بـين أطرافهـا، وربـما توحّـدها في الأقـلّ في مواجهـة أعـدائها الـذين يتربّصـون بهـا، ببركـة فهـم سـيرة

(١) نفسه ٤٢٩.

ابـن بنـت رسـول الله فهـمًا واعيًـا يجمـع ولا يفـرّق، يتجـاوز احترابهـا وتعاديهـا، بَلـهَ التفكـير في تطـوير مـا يناسـب هـذا العصـر، اسـتنادًا إلى أخـذ العـبر مـن تأمّـل هـذه التجربـة الغنيّـة بدروسـها في زمنهـا وفي الأزمـان اللاحقـة، إذ يقـول مـن تصـدّى لتعيـين خـامس الخلفـاء الراشـدين: (قـد تتبعـت أهـمّ صـفات الحسـن وحياتـه في المجتمـع وأثبـتُّ بـأنّ شخصـيّته تعتـبر شخصـيّة قياديّـة فـذّة وأنّـه رضي الله عنـه اتّصـف بصـفات القائـد الربّـاني، فمـن أهـمّ الصـفات -التـي أشرت إليهـا- بعـد نظـره، واسـتيعابه للأحـداث الجاريـة حولـه، وقدرتـه عـلى قيـادة الجماهـير، وعزيمـة قويّـة في تنفيـذ الأهـداف المرسـومة، وقـد اتّضـحت هـذه الصـفات عنـد حـديثنا عـن مشـروعه الإصـلاحيّ العظـيم بالإضـافة إلى بعـض الصـفات الأخـرى كـالعلم بالكتـاب والسـنة، والعبـادة الخاشـعة، وزهـده الكبـير... وسـخائه الـذي لا يميّـز بين غنـي وفقـير، أو صـغير وكبـير، أو قريـب وبعيـد، وقـد كانـت نفسـه مجبولـة عـلى البـذل والعطـاء والكـرم والسـخاء في مرضـاة الله تعـالى... وشرحـت مفهـوم السـيادة [حـديث: سـيّدا شـباب أهـل الجنـة] مـن خـلال سـيرة الحسـن، وأنّ السـيادة لـن تكـون بـالقهر وسـفك الـدماء، أو إهـدار المـال والحرمـات... ووقفـت مـع صـلح الحسـن واعتبرتـه

مشروعاً إصلاحياً عظيماً... وتظهر عظمة الحسن بن عليّ من خلال تصرفاته ومواقفه في حياته، والتي أهمها تصوّره للمشروع الإصلاحيّ، وقدرته الفذّة على التنفيذ، فكم من الناس يملكون تصوّرات ونظريّات إصلاحيّة ولكنّهم يعجزون على إسقاطها في دنيا الناس؟)[١].

فكانت (مصلحة الأمة في زمن الحسن عليه السلام هي معالجة الانشقاق الذي استحكم فيها، وملاحقة الإرهابيين، الذين نغّصوا العيش، وهدّدوا أمن الناس، ومواجهة تهديد الروم، على الجبهة الشمالية الشرقية، لحفظ الكيان الاسلامي)[٢]؛ حتّى يمكن بهذا التوجّه ربط القديم بالجديد لـ (أنّ كثيراً من النكبات التي تعصف اليوم بالمسلمين تعود جذورها متّقدة حتّى اليوم)[٣] إلى تلك الحقبة، فهل نسكت على خلط الأمور ومساواة الإحسان بالإساءة؟.

واللافت أيضاً أنّ أهل الإساءة الذين كانوا قد وجّهوا تسليم

---

(١) خامس الخلفاء الراشدين، أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه ١٦٣.

(٢) صلح الإمام الحسن ٥٦.

(٣) نفسه.

الإمــام الحســن الإدارة بإشــاعة تناقضــه وســيرة والــده وأخيــه عليهما السلام، فيضــربونه بهــا استناداً إلى روايـات لا أصـل لهـا لسـنا بصـدد بحثهـا، أمّـا مضــمون خطبــه مــثلما ســنعرض فتبعــد التفكــير في مثــل هــذه الروايـات بعـداً مـا بـين المشــرق والمغـرب، ومـن جملـة التوجيـه أو التوظيف الزعم بأنّ الإمـام الحسـن كـان عـثمانيّ الهـوى يعـارض سياسـة أبيه مع أنّه ردّ مقالة عبـد الله بـن الـزبير التـي مفادهـا: (إنّ أبـاه زعـم أنـه بايعــه بيــده دون قلبــه) في الخلافـة، فـردّه الإمـام الحسـن: (ولعـليٍّ أن يقاتـل أتبـاع الجمـل)، واسـتنفر الإمـام النـاس لهـذه الوقعـة في قولـه: (وأمّا توارد أهل الكوفـة عـلى أهـل البصـرة فـما يعجـب مـن أهـل حـق وردوا عـلى أهـل باطـل)[١]، وقولـه أيضـاً لابـن الـزبير في موضـع آخـر: (بــايع أبــوك أمــير المــؤمنين، ثــمّ نكــث بيعتــه، ونكــص عــلى عقبيــه، واختدع حَشِية مـن حشـايا رسـول الله صلى الله عليه وآله ليضِـلّ بهـا النـاس... سـار إلى أبيـك وطلحـة حـين نكثـا البيعـة، وخـدعا عـرس رسـول الله صلى الله عليه وآله، فقُتِـل أبــوك وطلحــة، وأُتِيَ بــك أســيراً... وناشــدته الــرحم ألاّ يقتلــك، فعفــا عنك، فأنت عتاقة أبي...)[٢]؛ هـذا مـن جهـة، ومـن الجهـة الأخـرى فـإنّ

(١) الفتوح لابن أعثم ٢/ ٤٦٦.

(٢) المحاسن والمساوي ٧٥ – ٧٦.

الإمام الحسين لم يخالفِ الحسن في حياته، وكذلك بعد وفاته، بل التزم موقفه نفسه، وثبت على ما اتُّفِق عليه في وثيقة الصلح، وقد تحمّل الحسين مثلما تحمّل الحسن إلى حين وفاة معاوية، أي بعد أكثر من عقد من السنين، حتى سُلّم الأمر إلى يزيد، فكان صبرُ الحسين صبرَ من كان ينتظر تحوّل الفريق الآخر إلى مرحلة جديدة، هي أسوأ من سابقتها من مراحل الانحدار، تلك التي لا يمكن السكوت عليها.

أمّا المنهج الحسني في الزهد فشاهده قول الحسن نفسه:

لَكِسرَةٌ من خَسِيسِ الخُبزِ تُشبِعُني ... وشربةٌ من قراحِ الماء تَكفيني

وطَمْرَةٌ من رقيقِ الثوبِ تسترُني ... حَيًّا، وإن مِتُّ تكفيني لِتكفيني[1]

وللحسن بن علي عليه السلام أيضًا:

إن السخاء على العباد فريضة ... لله يقرأ في كتاب محكم

وعد العباد الأسخياء جنانه ... وأعد للبخلاء نار جهنم

من كان لا يندي نداه بنائل ... للراغبين فليس ذاك بمسلم[2]

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب، النجف، ١٩٥٦، ٣/ ١٨١، أعيان الشيعة ١/ ٥٧٨.

(٢) نفسه ٣/ ١٨٣.

وله أيضًا:

قُـل للـمـقـيـم بــغير دار إقامـة حـان الـرّحـيل فـودّع الأحبابـا
إنّ الّـــذين لقيـــتهم وصـــحِبتهم صـاروا جميعـاً في القبـور ترابـا(١)

وأمّـا الحِلـمُ والعقـل والحكمـة والسـماحة وعلـوّ الهمّـة، ومجـازاة الإسـاءة بالإحسـان فملمـوس معـروف متـداول، كـان الأسـتاذ جعفـر البيـاتي قـد عـرض كثـيراً منـه في كتابـه الموسـوم (الأخـلاق الحسـنيّة) الـذي زاد عـلى أربعمئـة وخمسـين صـفحة، فـيمكن أن يُـرَدّ بمثـل هـذا الكتـاب عـلى مـا افـتُرِي مـن إسـاءات عـلى إنسـانيّة الإمـام الطـاهر وخلقه.

ومن هذا ما جـاء في بـاب مجـازاة الإسـاءة بالإحسـان مـا نقلـه أبـو العبـاس المـبرّد (ت٢٨٥هــ) في كتابـه (الكامـل) الـذي قـال: (إنّ رجـلاً من أهل الشام قـال: دخلـت المدينـة فرأيـت رجـلاً راكبـاً عـلى بغلـة لم أرَ أحســن وجهــاً ولا ســمتاً ولا ثوبــاً ولا دابّــةً منــه، فــمال قلبــي إليــه، فسـألت عنـه، فقيـل لي هـذا الحسـن بـن عـليّ بـن أبي طالـب رضي الله عـنهما، فـامتلأ قلبـي بغضـاً، وحسـدت عليـاً أن يكـون لـه ابـن مثلـه، فصـــرت إليـه، فقلـت لـه: أأنـت ابـن أبي طالـب؟ فقـال أنـا ابـن ابنـه،

(١) نفسه ٣/ ١٨١.

فقلت: فبِك وبأبيك أسبُّهما، فلمّا انقضى كلامي، قال لي: أحسبُك غريباً، قلتُ: أجل، قال: فمِل بنا، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مالٍ آسيناك، أو حاجة عاونّاك، قال: فانصرفت عنه، ووالله ما على الأرض أحدٌ أحبُّ إليّ منه)[1].

و "عن عاصم بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي، فأعجبني سَمته، وأثارني ما كان في صدري على أبيه من البغض، فقلت: أنت الحسن بن علي بن أبي طالب؟ قال: نعم، فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إليّ نظرة عاطف رؤوف وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**...إلى قوله تعالى: **مُبْصِرُونَ**﴾ (الأعراف ١٩٩-٢٠١). ثم قال: استغفر الله لي ولك، أنت لو استعنتنا لأعنّاك، ولو استرشدتنا لأرشدناك، قال: فندمت على ما كان مني، فقال: ﴿**لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ**﴾ (يوسف ٩٢)؛ أَمِن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم. قال: حيّاك الله وبياك، انبسط لنا في حاجتك تجد أفضل ظنك إن شاء الله. قال عاصم: فضاقت عليّ الأرض بما

---

(١) ١/ ٢٣٥، وينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٢٦.

رحبت ووددت أنها ساخت بي وذهبت عنه وما أحد على وجه الأرض أحب إلي منه ومن أبيه)[١].

وفي جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (قولهم: "سفيه لم يجد مسافهاً"، قيل: المثل للحسن بن علي رضي الله عنهما، قاله لعمرو بن الزبير، وكان عمرو بن الزبير ذاهباً بنفسه، شامخاً بأنفه، فكان إذا شتمه إنسان أعرض عنه إعراض من لا يُعبأ بشتمه، فشتم عمرو يوماً الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال: "سفيهٌ لم يجد مسافهاً"، وسكتَ، فقال عمرو: لِمَ سكتّ؟ قال: لـمَا تسكتُ له، يريد: أن المتناهي في الشرف ليس له من يسابُّه، وإنما يتساب النظراء...)[٢].

ويقول ابن حزم في مطابقة سرّه وعلانيته (كان الحسن رض إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً، وإذا أمر بشيء كان شديد الأخذ به، وهكذا تكون الحكمة، وقد قيل: أقبح شيء في العالم أن يأمر المرء بشيء لا يأخذُ به في نفسه أو ينهى عن شيء يستعمله، قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله   عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٥١، إحقاق الحق ٢٦ / ٤٥٨.

٢) جمهرة الأمثال ١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٣.

... وقد صحَّ عن الحسن أنّه سَمِع إنسانٌ يقولُ: لا يجبُ أن ينهى عن الشرِّ إلاّ من لا يفعله، فقال الحسن: ودَّ إبليسُ لو ظفَر منّا بهذه حتّى لا ينهى أحدٌ عن منكر ولا يأمر بمعروف)(١).

وقال واصل بن عطاء: (كان الحسن بن علي عليهما السلام، عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك)(٢).

على أنّ المبرّدَ وواصلاً ابن عطاء وغيرهما، لم يكونا من أتباع الإمام الحسن ولا من مريديه، لكنّ فعل الإمام السامي ظلّ يجتذب الناس، لأنّ منهجه غير منهج الذين يستعينون بالمكانة والأبّهة والسلطة وإرهاب الناس، وفي المقابل فإنّ منهج الإرهاب -مع شديد الأسف- كُتِب له لاحقًا البقاءُ والرسوخُ في سلوك الذين تسلّموا قيادات المجتمعات الإسلاميّة، حتى كأنّ طاعة الحاكم والعياذ بالله طاعة الله، وكأنّ معصيته معصية الله، على الرغم من بطشه واستبداده وبعده عن الإيمان والعدل والهداية .

لكن هل سامح الإمام مَن تجاوز الحرمات؟

وهل سكت على مَن أساء إلى النسب النبويّ الشريف؟

---

(١) رسائل ابن حزم ١ / ٤١٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣/ ١٧٦.

وهل تهاون في الردّ على مَن هاجم منهج أبيه وجدّه؟

هذا ما سنفتّش عنه في خطب الإمام الحسن في هذا الكتاب.

وينطلق هذا البحث من تأمّل شخصيّة الإمام الحسن الخطابيّة، ومحاولة الكشف عن أطروحته من نصوص خطبه، فليس مثلُ استعمال اللغةِ ما يُجيبُ عمّا يعنُّ من تساؤلات في تلك الحقبة العاصفة بأحداثها الجسام، وكذا في تبيان حقيقة ما جرى مثلما جرى؟! في الكشف العلمي التاريخي من النصّ الأدبيّ المستند إلى وعي التجارب وتوثيق الأحداث، إذ من كلام الإمام سنعرف من هو، ومن خطبه سنرى حقيقة مواقفه بإزاء ما كان يجري، ومنها سبب تنازله عن الإدارة السياسية، وإيقافه المؤقت للصراع العسكري بين الطرفين، واستغلال خصمه جميع ما أحاط به من ظروف بعد رحيل والده، وضِيق الوقت أمامه في تدبير الضعف والانقسام.

تلك الأحداث تستدعي مهارات خطابيّة إقناعيّة منطقيّة عالية، سندها الإفصاح عن الحجّة ووسيلتها الحضور الفاعل، ورباطة الجأش، وقوّة الأدلّة، وسرعة البديهة، ودقّة اختيار الكلمات والجمل حين المنازعة وتجاوز فخاخ السلطة وإمكاناتها المادّيّة والمعنويّة، التي تريد الغلبة بالمماراة، والتفوّق بالرياء، والسمعة بالاستمالة؟!

وفي المرحلة الأخيرة من كتابة هذا البحث نبّهني الدكتور علي الحبوبي والدكتور ميثم الموسوي على كتاب الدكتورة رباب صالح حسن الموسوم: (خطب الإمام الحسن ﵇، جمع ودراسة)، وكان الأستاذ الحبوبي قد أعارني مشكورًا هذا الكتاب، فوجدته يختلف عن وجهتي التي اتخذتها، إذ كان همّ المؤلفة الفاضلة الجمع والتوثيق، والعرض والتقويم المختصر الذي لم يزد عن ثلاثين صفحة[1]، تحت العنوانات الآتية: البناء العام للخطب، والاقتباس، والثنائيّات ، والتوازي، من دون النظر إلى كلّ خطبة على حدة في ضوء مناسبتها، ذلك الذي اعتنيت به في هذا البحث، وقد أفدتُ من هذا الكتاب ولاسيّما ما عرضَتْه من الثنائيّات الضدّيّة في الخطب، موثّقًا من كتابها ما أفدته منها... والله وليّ التوفيق.

**

---

(١) خطب الإمام الحسن ﵇، جمع ودراسة، د. رباب صالح حسن ٤ – ٣٤.

التمهيد

في شَكلِ الخطبةِ ومضمونِها ومناسبتِها وإمكاناتِ الخطيب

الخُطبة: هي الكلام المنثور المباشر الذي ربما يكون مسجعًا[1]، يتكلم بها الخطيب إلى جمع من الناس، بأقلّ الكلمات والجمل، يُؤثَرُ فيها الإيجاز على الإطناب، لتحفظ وتنتشر وتصل بها الأفكار، إذ إنّ خير الكلام ما قلّ ودلّ؛ وتتميّز عامّة الخطب بالفصاحة، وجزالة الألفاظ، وقوّة التأثير، ووضوح المعاني.

ولا بُدّ أن يكون للخطيب مكانة مرموقة، وشأنٌ عالٍ، وقوّة حجّة، وهدف منشود، وصوت جهوريّ يصل إلى الجمهور، وكذلك إلى طلاقة لسان، وجمال هيأة، وحسن هندام، وأن ترتجل الخطبة ارتجالًا، وأن يقف الخطيب في مكان يراه فيه المخاطبون[2].

والخطاب: هو "اللفظ المتواضَع عليه المقصود به إفهام من هو متهيّئ لفهمه... إفهام من هو أهل للفهم"[3].

---

(١) تاج العروس ٢/ ٣٧٢.

(٢) محاضرات في الأدب الجاهلي ٢/ ٣٧٢.

(٣) الكلّيّات للكفوي، ٣٤٩ - ٣٥٠.

والخطابة: فنُّ الكلام الشفويّ المقنع للجمهور، (وضربٌ من الكلام البليغ يلقيه رجل عظيم، نابه الشأن في جمع من الناس، وأهمّ ما تقتضيه الخطبة الإقناع، وأصولها ثلاثة: إيجاد المعاني الجديرة بالإقناع من الآداب والسياسة، والتنسيق على نظام واحد، من الربط والترتيب والتعبير، الذي يُراعى فيه حالة السامع)[١]. فبالخطيب حاجة إلى اختيار الألفاظ، وإلى مهارات التعبير، ومعرفةٍ بقبول المخاطبين، ومراعاة الأحوال، (والإفهام والتفهيم، وكلّما كان اللسانُ أبيَنَ، كان أحمَدَ)[٢].

(والخطابةُ لها الحظُّ الأوفر من الدِّين؛ لأنّ الخطبةَ شطرُ الصلاة التي هي عماد الدين في الأعياد والجُمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهّد بها الإمامُ رعيّته لئلّا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزَل اللهُ عزّ وجل من ذلك في كتابه، إلى غير ذلك من منافع الخطب)[٣].

---

(١) التلقّي والسياقات الثقافيّة ١١٥.

(٢) البيان والتبيين ١/ ١١، ٩٢.

(٣) كتاب الصناعتين ١٤٢.

ومعروف أنّ الخطابة كانت قد ازدهرت في عصر الإمام الحسن عليه السلام، ولاسيما بعد الصلح، إذ اشتدّت المنافسة والصراع بين الفرق السياسيّة، بعد تأجيل المواجهة العسكريّة، وزادت الفرص لكلّ خطيب عن أن يدافع عن رأيه، في محضر خصومه، فيناظر أقرانه، ويفاخر بما يرفع مقامه، ومقام فريقه، فيما يحطّ من مقام غريمه؛ وقد وجد الأمويّون في تشجيع هذا التوجّه وإدارته دعاية لهم، ومناسبة لتسويغ حكمهم، ومحاولة لدحض حجج من يناوئهم، وإحراج خصومهم، ووسيلة لفرض آرائهم، في ظلّ سطوتهم وتأثيرهم وإدارتهم، وتسخير كلّ إمكانات السلطة الماديّة والمعنويّة، فكانوا يعدّون الأجواء، ويخططون للغلبة، ويهيّئون الأكفاء من الخطباء الدهاة البلغاء، مثلما سنعرض.

أمّا مضامين خطب الإمام الحسن المختارة التي سنعرضها في هذا الكتاب فتتركّز في المناسبات التي استدعتها هذه الخطب، وهي:

١- نعي أمير المؤمنين عليه السلام.
٢- البيعة واستحقاق الولاية.
٣- الحثّ على الجهاد.
٤- اليأس من مواصلة القتال.

٥- الموادعة وتسويغ الصلح.

٦- الثبات وردُّ التجاوزات.

٧- المناظرة في المحاسن والمساوئ.

٨- مناظرة ردّ الاعتبار لمنهج أمير المؤمنين.

أمّا التشكيك بإمكانات الإمام الحسن الخطابيّة أو تمكّنه من آليات الخطابة، فربما كانت من جملة الحرب عليه، إذ سعى مناوئوه لرميه بالعجز، وجاء على لسانه في ردّ ابن الزبير: (أما والله لولا أنّ بني أميّة تنسبني إلى العجز عن المقال لكففتُ عنك تهاوناً، ولكن سأبيّن لك لتعلم أنّي لست بالعيّ والكليل اللسان)[1].

وفي مقاتل الطالبيين (كان في لسان الحسن بن عليّ ثقل كالفأفأة؛ وحدّثني به محمد بن الحسين الأشناني، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: كانت في لسان الحسن رتّة)[2].

وأمّا الفأفاء: فمِن فأفأ يفَأفِئ، من كَثرة ترديد الفاء في النطق لعاهة أو دهش أو خوف أو نحو ذلك، أو حبسة في اللسان، أو من ثقل فيه، أو مِن غِلظة في الفم، وأمّا الفأفأة: فالترديد في الفاء؛

---

(١) المحاسن والمساوي ٧٥.

(٢) ٣١.

والرتّة: غريزة، تمنّعُ أوّل الكلام، فإذا جاء منه شيء اتّصل، ويُقال: إنّها تكثر في الأشراف ولم توجد تختصّ بواحد دون واحد(١).

وروى ابن عبد ربّه الأندلسي: (وَفَدَ الحسن بن علي على معاوية، فقال عمرو بن [العاص]: يا أمير المؤمنين، إنّ الحسنَ لَفَهَهٌ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمِع الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم، فَفَعَلَ معاوية، فصعد المنبر وتكلم وأحسن... فساء ذلك عَمراً)(٢).

والفَهَهُ والفهاهةُ، والفهَّةُ المرّة من الفهاهة: السقطة من العِيّ، والفَهَهُ: كليل اللسان عَيِيٌّ عن حاجته(٣).

وجاء في المحاسن والمساوي على لسان عمرو بن العاص: (قد جاءكم الفَهُّ العَيِيُّ الذي كان بين لحييه عُقلة؛ فقال عبد الله بن جعفر: مَهْ؟ فو الله لقد رُمتَ صخرة مُلَمْلَمَة تنحطُّ عنها السيول، وتقصُر دونها الوعول، ولا تبلغها السهام، فإيّاك والحسن إيّاك؟)(٤).

---

(١) الكامل للمبرد ١/ ٣٧٠، والتذكرة الحمدونيّة ٢/ ٦١.

(٢) العقد الفريد ٤/ ١٩.

(٣) ترتيب كتاب العين ٣/ ١٤٢٢، وتاج العروس ٣٦/ ٤٧٤.

(٤) ٧٧.

"وقال الأصمعيُّ: إذا تَتَعْتَعَ اللسانُ في التاء فهو تمتـام، وإذا تتعتـع في الفـاء فهـو فأفـاء...)(١)، (والتمتـام غـير مُعـرِبٍ عـن معنـاه، ولا مفصـح بحاجته)(٢)؛ ولو كان هذا الذي ادُّعِيَ على الإمام حقيقياً لتـواتر ذكـره، لأنّ أعداء الإمام وشهرته توجب أن يذكرَ في الأقلّ في الكتب التي اعتنت عناية واسعة بعيوب النطق كالبيان والتبيـين للجـاحظ وغـيره؛ ولم أجـد في هـذا الكتاب ذِكراً لما يؤكّدُ ما تقدّم، مع أنّـه عـرض عرضـاً مبالغـاً فيـه في ذكـر عيوب نطق الخطباء المشهورين، وكتابه المرجع المهمّ الـذي يُعتمـدُ في بـاب البيان والتبيين وما يقابله من العِيّ والحصـر، وجاء فيه عـلى سـبيل المثـال: (يقال: في لسانه حُبسة، إذا كـان الكـلام يثقـل عليـه ولم يبلـغ حـدّ الفأفـأة والتمتام، ويقال في لسانه عُقلة، إذا تعقّـل عليـه الكـلام، ويقـال في لسـانه لُكْنَةٌ، إذا أدخل بعضَ حروفِ العَجم في حروف العـرب، وجـذبت لسـانه العادة الأولى إلى المخرج الأول، فإذا قالوا في لسانه حُكْلَة فـإنما يـذهبون إلى نقصــان آلــة المنطــق، وعجــز أداة اللفــظ، حتــى لا تُعــرف معانيــه إلا بالاستدلال)(٣).

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٣٧.

(٢) نفسه ١/ ٣٨.

(٣) نفسه ١/ ٣٩ـ ٤٠.

وقد أفاض الجاحظ نفسه في ذكر عيوب الخطب والخطباء ولاسيّما في عصر صدر الإسلام والعصر الأمويّ وأوّل العصر العباسي، وكان قد اعتنى بالخطب وما يعتري الخطباء من العِيِّ والحصر وما يتصل بهما، وقد أسهب في التنظير والتقويم والتمثيل، إذ أفاض في عرض التخلص من لثغة واصل بن عطاء شيخ المعتزلة، لأنّ بواصلٍ هذا حاجة إلى البيان وتمام آلة النطق وإعطاء الحروف حقوقها، وحاجة إلى الجزالة والفخامة واستمالة العقول والقلوب، يقول الجاحظ: (فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه... حتى صار لغرابته مثلاً)[1].

وفي المقابل جاء في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور شهادة مهمّة لمكانة الإمام الحسن الخطابيّة واجتذابه سامعيه، في قوله: (قال عمير بن إسحاق: ما تكلّم عندي أحد كان أحبَّ إليَّ إذا تكلم ألا يسكت من الحسن بن عليّ، وما سمعت منه كلمة فحش قطّ إلا مرةً، فإنّه كان بين حسن بن عليّ وعمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض، فعرض حسين أمراً لم يرضه عمرو، فقال الحسن: فليس

---

(١) نفسه ١/ ٣١٥.

له عندنا إلا رغم أنفه، قال: فهذه أشدّ كلمة فحش سمعتها منه)[١].

ونعزو عبارة (أحبّ إليَّ إذا تكلم ألا يسكت من الحسن بن علي)، ربما لقصر خطبه وبلوغها الغاية في الإفصاح والتأثير المباشر في المتلقين، وهذا هو الحكم الذي انتهينا إليه في هذا الكتاب.

ورُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن بن علي عليهما السلام: (قم فاخطب لأسمعَ كلامَك. فقام، وقال: (الحمد لله الذي من تكلم سمع كلامه، ومن سكت علم ما في ضميره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم، أما بعد: فان القبور محلنا، والقيام موعدنا، والله عارضنا. إنّ علياً باب من دخله كان آمنا مؤمنًا، ومن خرج عنه كان كافرًا؛ فقام إليه صلى الله عليه فالتزمه، وقال: بأبي أنت وأمي، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)[٢]. (وقد خطب الناس غير مرّة في حياة أبيه، وبعد وفاته، فلم يُعرَف منه عي أو حصر، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك من أهل بيت لم يُعرَفوا قطُّ بعيٍّ أو حصر، وإنّما

(١) مختصر تاريخ دمشق ٧/ ٢٩.

(٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر للحلواني٧٣، وتاريخ مدينة دمشق ١٣/ ٢٤٤، الدر المنثور ٢/ ١٨..

كانوا مَعدِن الفصاحة واللسن، وفصل الخطاب)[١].

ومن إتمام ما تقدّم الربط بين البلاغة والخطبة والمناسبة، ومنه ما جاء في البيان والتبيين: (جِماعُ البلاغةِ التماسُ حُسنِ الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلّة الخَرَقِ [الاندهاش] بما التبس من المعاني أو غَمُضَ)[٢].

ومن ذلك أيضًا ما جاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري في ضوء عرضه لتعريف البلاغة: (قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة عن مشكل، ومثله قول الحسن: البلاغة إيضاح الملتبسات، وكشف عوار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات؛ وقريب منه قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل عبارة)[٣].

فهل سنجد هذا التقريب المفصح المناسب فيما قاله الحسن عليه السلام في خطبه؟!

---

(١) الفتنة الكبرى ٢/ ١٨٥، وكشف الغمّة ٢/ ١٩٣.

(٢) ١/ ٨٨.

(٣) ٥٨.

وهـل سـنجدُ في خطـبِ الإمـام شخصـيّته الحقيقيّـة وتجربتـه كـما هي لا ما يدّعيه المُدّعون؟

فـلا بُـدَّ لمـن يقـرأ خطـب الإمـام الحسـن أن يستحضـر مناسـباتها والسياق الذي قيلت فيه؟

أي أن يعرف شخصيّة الخطيب؟ ولمن يتحدّث؟

ومـا مصـادر الضـيق والحـرج والتشـويش والانفعـال التـي أحاطت بالخطاب؟

وكيف تخلّص ممّا يُتوقّع في مثل موقفه من اضطراب؟

وما التخطيط اللغويّ الذي اتّخذه الخطيب في تفاديها؟

ومـا مقاصـده مـن الإشـارات والإيحـاءات التـي رافقـت نصوصها؟

وما الحقائق الظاهرة أو المضمرة التي سرّبها إلى متلقّيه؟

وما المعاني الحرفيّة أو الروحيّة التي دارت بمدارها هذه الخطب؟

هذا ما سنحاول بحثه والتفتيش عنه والله المستعان.

* *

الخطبة الأولى: خطبة نعي أمير المؤمنين عليه السلام

تستمدّ هذه الخطبة الأهميّة من المناسبة التي استدعتها؛ إذ فيها البلاغ المُؤثّر عن رحيل أمير المؤمنين عليه السلام، وهي من الخطب المتواترة التي رُويت بعدّة روايات، طويلة أو مختصرة، وباختلاف يسير في نقل بعض مفرداتها وجملها، من مثل:

لقد قُبِضَ في هذه الليلة: قد قُبِض.

لقد فقدتم، أو لقد فارقكم، أو لقد قتلتم.

يعطيه الراية، أو يوجهه برايته، أو يبعثه في السريّة.

يفتح عليه، أو يفتح الله له، أو يفتح على يديه.

ما ترك على وجه الأرض، والله ما ترك، ما خلّف... إلخ.

والسبب في هذا الاختلاف هو المشافهة وربما تأخر التدوين، لكن المضمون العام هو هو لم يتأثّر بسبب هذا التفاوت مثلما سنرى.

وهذه أهمّ نصوص الخطبة التي كانت أكثر دوراناً، سنذكرها من دون مقدّمتها:

فمن رواياتها رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، قال حدّثني أشعث بن سوار:

"لقد قُبِضَ في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقْه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخِرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجهه برايته، فيكتنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توُفّي عليه السلام في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قُبِض يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم، فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع خادمًا لأهله)[1].

وفي مسند أحمد بن حنبل: (حدّثنا عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، قال حدّثنا وكيع عن شريك، عن أبي إسحاق: لقد فارقكم رجلٌ بالأمس، لم يسبقه الأوّلون بعمل [أو بعلم]، ولا يدركه الآخرون، كان يبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله، يبعثه بالراية، جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يفتح الله له)[2].

وفي المستدرك: (حدثنا: أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى ابن أخي طاهر العقيقي الحسني ثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين حدثني عمى علي بن جعفر بن

---

(١) الإرشاد ١٨٨، وإعلام الورى ٢٠٨، ومناقب آل أبي طالب ٤/ ٣١.

(٢) ٢/ ٢٧ - ٢٩.

محمد حدثني الحسين بن زيد عن عمر بن علي عن أبيه علي بن الحسين قال خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **لقد قُبض في هذه الليلة رجلٌ لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايته فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه وما ترك على أهل الأرض صفراء ولا بيضاء الا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله)**(١).

وفي الكامل في التاريخ: (لقد قتلتم رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن الكريم، وفيها رُفِع عيسى، وفيها قُتِل يوشع بن نون، والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه من يكون بعده، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمنمئة أو سبعمئة أرصدها لجارية)(٢).

وفي ينابيع المودّة: **(أيها الناس في هذه الليلة نزل القرآن، وهي ليلة القدر، وفي هذه الليلة رُفِع عيسى بن مريم عليه السلام، وفي هذه الليلة قُتِلَ يوشع بن نون، وفي هذه الليلة قُتِلَ أبي أمير المؤمنين عليه السلام، والله كان أفضل الأوصياء الذين كانوا قبله وبعده، وإن كان رسول**

---

(١) المستدرك، للحاكم (ت٤٠٥هـ) ٣/ ١٧٢.

(٢) ٣/ ٤٠١ـ ٤٠٢.

الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السريّة، فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم ليشتري بها خادمًا لأهله)(١).

وفي كشف الغمّة (**لقد قُبِضَ في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقْه الأوّلون، ولا يدركه الآخِرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجهه برايته، فيكتنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توُفّي عليه السلام في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، وفيها قُبِض يوشع بن نون عليهما السلام، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمئة درهم من عطائه، أراد بها أن يبتاع خادمًا لأهله... ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه)**(٢).

وفي منهاج البراعة: (أيّها النّاس: في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين، والله لا يسبقُ أبي أحدٌ كان قبله من الأوصياء إلى الجنّة، ولا من يكون بعده، وإن كان

---

(١) ١٤٤.

(٢) ٢/ ١٥٨ - ١٥٩.

رسول الله ليبعثه في السّرية، فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمئة درهم ليشتري بها خادما لأهله)(١).

لقد توافرت الخطبة على المضامين الآتية:

١- وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، الذي وهب نفسه للرسالة الإسلاميّة.

٢- بيان شأنه وفضله، إذ سَبَقَ الأوّلين والآخرين في العلم والعمل.

٣- صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله في الجهاد، يقيه بنفسه، وإنّه مؤيّد بجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، لا ينثني حتى يفتح الله عليه.

٤- تشريف ليلة قبضه: فكانت في الليلة التي نزل فيها القرآن الكريم، وفي الليلة التي رُفِع عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء، وفي هذه الليلة قُبِض وصيّ موسى يوشع بن نون عليه السلام.

٥- عفّته وزهده وتقواه، إذ لم يترك على وجه الأرض مالًا ذا قيمة، إلا قليلًا من عطائه.

---

(١) ٢/ ٣١.

لكنّ بعض المصادر التي عرضت الخطبة أغفلت ذكر تشريف ليلة وفاته وربطها بالحوادث التي حصلت في مثل ذلك اليوم، مثلما عرضنا.

مفردات النصّ وتركيب جمله ودلالاتها:

الأفعال: قُبِض، لم يسبقه، لم يدركه، لقد كان يجاهد، كان يوجهه، فيكتنفه، فيقيه، فلا يرجع، حتى يفتح، لقد توفّي، ما خلّف، أراد أن يبتاع.

الظروف: هذه الليلة، في الليلة، وفيها.

الجملة المركزيّة في نصّ هذه الخطبة: قُبِضَ رجلٌ، والجمل بعدها تصف هذا (الرجل).

المسند إليه المُتحدّث عنه في هذه الجملة: (رجلٌ) متبوع بضمائر ظاهرة ومستترة تعود عليه، تتوزّع نصّ الخطبة، مثلما سنعرض.

وظائف مفردات النصّ في جملها، ودلالات هذه الوظائف:

لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق.

قُبِضَ: المعنى المعجميّ (قَبَضَ الله روحه: توفّاه، والقابض في أسماء الله الحسنى هو الذي يمسك الرزق وغيره... ويقبض

الأرواح، وقابض الأرواح عزرائيل عليه السلام)[١]؛ وقُبِضَ: فعل ماضٍ بُنِيَ للمفعول، أُسْنِدَ إلى مفعوله (رجلٌ) الآتي، من قَبَض يَقبِضُ، وفي القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (الفرقان ٤٦) وصف القبض بأنه يسير، تسهيلاً لقبضه[٢].

في هذا اليوم: جار وجرور ومضاف إليه، متعلق بـ (قُبِضَ).

رجلٌ: نائب فاعل مسند إليه، وهذه هي الكلمة الرئيسة في النصّ، أو الكلمة المحور فيه، أو الكلمة المفتاح، أو الكلمة السياقيّة، التي يرجع تكرارها إلى مدار النصّ وموضوعه، وأنّ أكثر تكرارها يكون ممّا يرجع إلى اتّجاه سيكولوجي أو أسلوبي[٣]؛ وهذه الكلمة أو ما يتصل بها ويدلّ عليها سيتكرّر عشر مرّات، بضميرها الغائب (الهاء)، وبغير الهاء الضمير المقدّر خمس مرّات أيضاً، مثلما سنرى.

وتنكير (رجل) الاسم المسند إليه لغرض التشويق والمدح والتعظيم، فكأنّ ما سيأتي من جمل هذا النصّ، هو الذي سيحدّد المقام، مقام (رجل) ودلالات وفاته وأهميّتها، ويصف هذه المفردة

---

(١) تاج العروس ١٩/ ١٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٩/ ٦٦.

(٣) ينظر: الأسلوبيّة الرؤية والتطبيق ١٩٤.

(النكرة) ليرفع مقامها لما تستحقّ، إذ إنّ تنكير المسند إليه قد يأتي للتفرّد والتعظيم، فكأنّما وضع كامل النصّ ليصفه، ويحدّد معناه[1].

لم: نافية جازمة.

يسبِقْه: فعل مضارع مجزوم والهاء مفعوله عائد على (رجل).

الأوّلون: فاعله.

بعمل: جار ومجرور متعلق بالفعل (يسبقْه).

ولا يدركه الآخِرون بعمل: جملة معطوفة على ما قبلها، جملة (لم يسبقه الأولون)، والجملتان صفتان لـ (رجل).

ولقد: كما تقدّم أي اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق.

كان يجاهد: اسم كان ضمير (رجل).

يجاهد: فعل مضارع دال على استمرار جهاده، خبر كان.

مع رسول الله: ظرف مضاف إلى ما بعده، لازم الظرفيّة على رأي المرادي[2]، دالٌّ على الاجتماع والمرافقة (إمّا في المكان، نحوُ: هما معاً في القيام والقعود، أو في الزمان، نحوُ: عاشا معاً، أو في المعنى

---

(١) ينظر: لغة القرآن الكريم ٣٤٣.

(٢) الجنى الداني ٣٠٦.

كالمتضــايفين)(١)، والمضــاف والمضــاف إليــه: (مــع رســول الله صلى الله عليه وآله متلازمــان بــلا واســطة، (بمنزلــة شيء واحــد، فيكتســب الأول مــن الثاني مـا لـه مـن صـفات وخصـائص، كـالتعريف والتخصـيص)(٢)؛ مـع رسول الله: أي ملازم لرسول الله(٣).

فيقيه بنفسه: وقـاه: صـانه مـن الأذى؛ (وقـى: كلمـة واحـدة تـدلّ عـلى دفـع شيء عـن غـيره بغـيره، ووقيتـه أقيـه وقيـاً، والوقايـة: مـا يقـي الشيء)(٤).

وكان رسول الله يوجهه برايته:

كان + فعل مضارع: ماضٍ مستمر

فعــل مــاضٍ مركــب مــن كــان وفعــلٍ مضــارعٍ، (كــان يجاهــد)، و(كـان يوجهـه)، يـدلّ عـلى الاسـتمرار وزمنـه المـاضي المتجـدّد المعتـاد، الــذي جـرى كالعــادة بالاسـتمرار والتجـدّد، ولـيس مـن المصـادفة أو

(١) مفردات القرآن الكريم ٦٤٩.

(٢) في النحو العربي، قواعد وتطبيق ١٧٢.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ٣٧٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٣١.

الحصول مرّة واحد[1]، فلم يحدث لمرّة واحدة، بل استمرّ تتابع التوجيه وتتابع الجهاد، فالتتابع هنا الاستمرار في الحدوث الذي يجري مجرى الاعتياد.

فيكتنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله: أي يسدّده ويعينه ويرعاه ويحفظه، والأكناف: النواحي والجوانب، وكَنِفَهُ: حرزه وحَفِظه، ويَكنَفَهُ بالكلاءة وحُسنِ الولاية[2]، فالإمام مُسدّدٌ محفوظ في تلك المواقف، يريد أنّه مؤيّدٌ ومعانٌ من الله، **فيكتنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله**: وهي جملة فعليّة للدلالة على الاستمرار في الكلاءة.

فلا يرجعُ حتى يفتح اللهُ على يديه: الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء[3]، قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ**﴾ (الأعراف:١٥٠)، والفتح: النصرة[4]، نفي رجوع أمير المؤمنين من دون الفتح والنصرة، وحتى الغائية قرنت رجوع الإمام بتحقيق الفتح والنصرة على يديه.

---

(١) معاني النحو ١/ ٢٢٣، ٢٣٨.

(٢) ترتيب كتاب العين ٣ / ١٦٠٠.

(٣) تاج العروس ٢١/ ٦٥ – ٦٦.

(٤) ترتيب كتاب العين ٣/ ١٣٦٨.

فحتّى: لانتهاء الغاية الزمانيّة، أي إلى أن ينجز ما يطلب منه، أي يمتنع رجوعه إلى أن يفتح الله له، ففي "حتى" دلالة التلازم بين عدم الرجوع والفتح على يديه[1].

ولقد تُوُفّي: (توفّيت الشيء واستوفيته؛ إذا أخذته كلّه، ومنه يقال للميّت: توفّاه الله)[2]، وهو هاهنا: فعل بُنِيَ للمفعول.

في الليلة: جارٌّ ومجرور متعلّق بالفعل.

التي: اسم موصول حال من الليلة.

نزل فيها القرآن: وهو النزول الدفعي، وذلك في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ (القدر: ١)، **نزل**: فعل ماضٍ، وجار ومجرور متعلق به، والقرآن فاعل أُسند إليه النزول، والجملة صلة التي.

وفي الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم ﷺ: عرج يعرُجُ عروجاً: أي صعد وارتقى، ومعارج الملائكة مصاعدها، وتعرجُ الأرواح إذا قُبِضت، والمعارج جمع معرج، في قول الله عزّ وجلَّ: ﴿**مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾ (المعارج: ٣-٤).

---

(١) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني ٢٦١.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٢٩.

وقد عطفت هذه الجملة على ما سبقها من جملة، عطف جملة ليلة عروج عيسى عليه السلام على جملة نزول القرآن .

وفيها: أي في الليلة التي قُبِض يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام، وفي هذا ربط مهم، فـ (عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السُّبَّقُ ثلاثة، السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام)[1]؛ وهذه الجملة معطوفة على الجملتين السابقتين، أي جملة النزول والعروج، فليلة قبض الإمام عليه السلام هي الليلة نفسها التي نزل فيها القرآن، وهي الليلة نفسها التي عرج فيها عيسى، وهي الليلة نفسها التي قبض فيها يوشع بن نون.

وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمئة درهم: أراد بالصفراء والبيضاء: الذهب والفضّة، أراد نفي أن يكون الإمام ترك مالاً، أي لم يترك إلا القليل الذي لا يُعتدّ به؛ وهذا من التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله، الذي يُروى أنه (ما ترك رسول الله [صلى الله عليه وآله] صفراء ولا بيضاء ولا بعيراً ولا عبداً ولا وليدة ولا ذهباً ولا فضة)[2].

(١) المعجم الكبير الطبراني ١١/ ٧٧، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٠٢.

(٢) معرفة السنن والآثار ٧/ ٥٧٥، والفائق في غريب الحديث ٢/ ٢٥٢.

فضُـلَتْ مـن عطائِـه أراد أن يبتـاع خادمًـا لأهلـه: الفضـلة: الزيـادة والبقيّـة مـن كـلّ شيء[١]، جملتـان فعليّتـان تبـينّ أولاهمـا مصـدر عطـا عطـواً: التنـاول باليـد، و(سـبعمئة درهـم) هـي مـن نَـول الرجـل مـا يسـتحقّه، والعطـاء والعطيّـة: اسـم لمـا يُعطـى[٢]، والجملـة الثانيـة بـاب توجيه صرف الزائد وابتاع يبتاع اشترى يشتري[٣].

نلحظ ممّا تقدّم: أنْ ليس للإمام مثيل قبله ولا بعده.

وكـان الإمـام الحسـن قـد اعتمـد التكـرار اللفظـي والمعنـويّ لتوكيد ما أراد من أفكار في أذهان المتلقين:

تكرار (لقد) ثلاث مرّات: لقد قُبِض، ولقد كان يجاهد، ولقد تُوُفّي.

والـلام مـن "لقـد" للابتـداء والتوكيـد؛ و "قـد" حرفيّـة للتحقيـق قبـل الفعـل المـاضي؛ و "قـد" قبـل الفعـل المضـارع للتقليـل، في قولـه: **ولقـد كـان يجاهـد مـع رسـول الله ﷺ** فيقيـه بنفسـه، ذلـك لأنّ هـذه الوقايـة لم يكـن لهـا حاجـة في كـلّ المعـارك فناسـب بـين المـوقفين بـما يناسب من التركيب.

---

(١) ترتيب كتاب العين ٣/ ١٤٠٢.

(٢) لسان العرب ٤/ ٣٠٠١.

(٣) تاج العروس ٢٠/ ٣٧٠.

تكـرار: في هـذا اليـوم، وفي الليلـة التـي نـزل...، وفي الليلـة التـي عرج...، وفيها قُبِض... إذ إنّ هـذا اليـوم وهـذه الليلـة: ظـرف الحـدث الـذي أعطـاه التحديـد الزمـاني، وربـط بينـه وبـما شـابهه مـن مثلـه مـن الليـالي العظـام في سـالف الأزمـان، مـن التـي وافقـت يـوم القـبض، قـبض أمـير المـؤمنين عليه السلام، ومـا يـذكره السـيوطي (الليلـة... ليلـة... فيهـا... فيهـا... فيهـا)، في قولـه: (أخـرج أبـو يعـلى وابـن عسـاكر عـن الحسن بن علي أنه لما قتـل عـليٌّ قـام خطيبـا فقـال: والله لقـد قتلـتم الليلـة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، وفيهـا رفـع عيسـى بـن مـريم، وفيهـا قتـل يوشع بن نون، وفيها تِيب على بني إسرائيل)[1].

فبهـذا تكـون مكانـة الليلـة: أنهـا الليلـة التـي نـزل فيهـا القـرآن الكـريم، وهـي الليلـة التـي رُفِـع فيهـا عيسـى بـن مـريم عليه السلام إلى السـماء، وهي نفسها التي قُبِض فيها الوصيّ يوشع بن نون عليه السلام.

وفي هذا التوافـق - بـين ليلـة وفـاة أمـير المـؤمنين والليـالي الأُخـر- رمزيّـة كبـيرة، وتـرابط مهـم، وانسـجام واضـح، أي التوافـق بـين: الإمـام والقـرآن، والإمـام وعيسـى بـن مـريم عليه السلام، والإمـام والـوصيّ يوشع بن نون.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ١/ ١٨٩.

تكرار الفعل المبني للمفعول: قُبِضَ، وتُوفّي، وقُبِضَ مرّة ثانية، كان تكرار هذا الفعل بلفظه ومرادفه، بهذه الصيغة وهذه الدلالة، قد توزّع أجزاء الخطبة، ومع كلّ مقطع من مقاطعها: لإبراز وحدة موضوعها، ولربط هذه الأجزاء ربطًا فنّيًّا موضوعيًّا بعضها ببعض.

وربما كان أقصر نصّ أورده الرواة لهذه الخطبة هو: (والله ما سبقه أحد كان قبله ولا لحقه أحد كان بعده، وإن كان النبي صلى الله عليه وآله ليبعثه في السريّة وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمئة أو سبعمئة درهم أرصدها لخادم يشتريها)[1].

أو قد يكون الأقصر المرويّ هو هذا النصّ: (لقد فارقكم رجل إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعطيه الراية فلا ينصرف حتى يفتح عليه ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله)[2].

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي ١٢/ ١٢٧.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة لأبي جعفر أحمد ٣/ ١٥٥.

ونقـول إنّ الخطبـة: عـبّرت عـن ترسـيخ مكانـة أمـير المـؤمنين عليه السلام، وإظهـار مـدى عظمـة المصـاب، ومقـدار الخسـارة التـي حلّـت بالأمّـة، ومعـروف أنّـه مـن الـذين أذهـب الله عـنهم الـرجس، وممّـن افـترض الله عـلى العبـاد مـودّتهم، ومـا يجـب عـلى المخـاطبين اتجاهـه، فكانـت هـذه الخطبـة النـداء إلى تلمّـس منهجـه، وتأمّـل فرادتـه، والتـزام منهجـه، والتأسّي بسيرته.

وتُنبّـه الـدكتورة ربـاب صـالح حسـن عـلى مـا سـمّته الثنائيّـات الضـدّيّة، التـي أظهـرت المـدار الموضـوعيّ الـذي دارت بمـداره أجـزاء هذه الخطبة، نختصره بالمقابلات التي وضحتها في الرسم فيما يأتي:

الأوّلون .... الآخرون

تضاد

جبرائيل عن يمينه....... ميكائيل عن شماله

تضاد

و(لقد حققـت الألفـاظ المتضـادّة زخمـاً دلاليـاً كشـف عـن مقـدرة لغويّـة وفكريّـة يمتلـك ناصـيتها الحسـن بـن عـليّ)[1]، ذلـك مـن حيـث المقابلـة والتـوازن بـين الأوّلـين الـذي يقابـل الآخـرين، واليمـين يقابـل الشمال.

---

(١) خطب الإمام الحسن ٢٣.

أمّا ما حققته الخطبة من تفاعل وتأثير في المخاطبين: فقد جاء بعد إيراد ذكر نصّها الجملة التي رُويت معها: (ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه).

لكن في المقابل لا يجد السيد محمد باقر الصدر تجاوباً يناسب ما حدث، ولا ما أحدثته هذه الخطبة من مشاعر، يستحقها الإمام عليه السلام، وتستحقها الخطبة نفسها، إذ قال: (كلُّ المسلمين سكتوا، لم يقم أحد!، لم يُجب أحد! لم يبرز أحدٌ شيئًا!...)[1]، وهذا السكوت وما يتّصل به، ربما سنتمكن من عرض أسبابه في آفاق الخطب الآتية إن شاء الله.

❊ ❊

(١) أئمة أهل البيت ٢٧٩.

الخطبة الثانية: خطبة البيعة واستحقاق الولاية

يُروى أنّ ابن عباس خرج إلى الناس بعد خطبة نعي أمير المؤمنين عليه السلام، أو قبل خطبة البيعة، يستطلع الآراء ويستعلم الخبايا والنوايا فقال بصوته الجهوريّ الموروث: (إنّ أمير المؤمنين عليه السلام تُوفّي وقد ترك خَلَفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد، فبكى الناس، وقالوا بل يخرج إلينا)[1].

فخطبة البيعة متصلة - فيما يبدو- بخطبة وداع أمير المؤمنين عليه السلام: (**أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي وأنا ابن النبيّ، وأنا ابن الوصيّ، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾** (الشورى: **٢٣**) **فاقتراف الحسنة**

(١) موسوعة عبد الله بن عباس ٤/ ٣٣٣، وينظر: أنساب الأشراف ٣/ ٢٨.

مودّتنا أهل البيت)[١].

وفي موسوعة عبد الله بن عباس: (**أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله مودّتهم في كتابه، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾** (الشورى: ٢٣)، **فالحسنة مودتنا أهل البيت**[٢].

ومنها: **"أيّها الناس إنّ الدنيا دار بلاء وفتنة، وكلّ ما فيها فإلى زوال واضمحلال، وقد نبّأنا الله عنها كيما نعتبر، فقدّم إلينا بالوعيد كي لا يكون لنا حجة بعد الإنذار، فازهدوا فيما يغنى، وارغبوا فيما يبقى، وخافوا الله في السرّ والعلانية، إنّ علياً عليه السلام في المحيا والممات والمبعث عاش بقدر ومات بأجل، وإنّي أبايعكم على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت"**[٣].

---

(١) المستدرك ٣/ ١٧٢.

(٢) ٤/ ٣٣٧، ومقاتل الطالبيين ٣٢ – ٣٣، وكشف الغمة ١/ ٥٠٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤/ ٣١.

تحليل جمل الخطبة:

كـرّر الإمـام ضـمير الـتكلّم "أنـا" سـبع مـرّات في نـصٍّ قصـير جداً.

وكرّر "يـاء المـتكلّم" الدالّـة عليـه ثـلاث مـرّات متجـاورات، مـع كلمة واحدة هي: (عرفني)...

من عرفني فقد عرفني

ومن لم يعرفني

فأنا الحسن بن عليّ

أنا ابن البشير

أنا ابن النذير

أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه

أنا ابن السراج المنير

أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا

أنا من أهل بيت افترض الله مودّتهم في كتابه

ويـومئ هـذا التكـرار إلى أنّ مـدار الخطبـة ومقصـدها هـو التعريـف بمقـام المـتكلّم، الـذي: ينتسـب إلى النبـيّ البشـير النـذير، وإلى الوصيّ الداعي إلى الله بإذنـه، فهـو ابـن السـراج المنـير، ومـن أهـل بيـت النبوّة ومهبط الوحي الذي أذهب الله عنهم الرجس.

ومثـل هـذا التعريـف "مـن عرفنـي" جـارٍ قبـل هـذه الخطبـة وبعـدها و(إذ اشـتهر أنّ أبـا ذر مـثلاً كـان قـد تعلـق بأسـتار الكعبـة في أيـام الموسـم ينـادي بـأعلى صـوته (ألا مـن عرفنـي فقـد عرفنـي ومـن لم يعرفنـي فأنـا أبـو ذر جنـدب بـن جنـادة صـاحب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم... سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله يقـول: إني خلفـت فـيكم الثقلين: كتاب الله وعـترتي أهـل بيتـي وإنهـما لـن يفترقـا حتـى يـردا عـلي الحـوض ألا وإن مـثلهما فـيكم كسـفينة نـوح مـن ركـب فيهـا نجـا ومـن تخلف عنها غرق)[1].

وعـن (محمـد بـن إدريـس الشـافعي ثنـا عبـد الله بـن المـؤمن عـن حميد مولى عفراء عن قـيس بـن سـعد عـن مجاهـد عـن أبي ذر رضي الله عنه أنـه قـام فاخـذ بحلقـة بـاب الكعبـة ثـم قـال مـن عرفنـي فقـد عرفنـي ومـن لم يعرفني فأنا جنـدب صـاحب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم سـمعت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يقـول لا صـلاة بعـد العصـر حتـى تغرب الشـمس ولا صـلاة بعـد الصـبح حتـى تطلـع الشـمس إلا بمكـة إلا بمكة إلا بمكة)[2].

---

(١) المبسوط للسرخسي ٣/ ٢٨٧.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٤٦١.

و(عن الأعمش عن أبي إسحاق عن حنش بن المعتمر قال رأيت أبا ذر أخذ بعضادتي باب الكعبة وهو يقول من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ومثل باب حطة في بني إسرائيل)[١].

وفي تفسير الثعلبي: (أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جُندب بن جنادة البدري، أبو ذر الغفاري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهاتين وإلا صُمّتا، ورأيته بهاتين وإلاّ فعُميتا يقول: عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله أما إني صليت مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر فدخل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راكعاً فأومى إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغ النبيّ صلى الله عليه وسلم

(١) المعجم الكبير، للطبراني ٣/ ٤٦.

مـن الصـلاة فرفـع رأسـه إلى السـماء وقـال: (اللهـم إن أخـي موسـى سـألك، فقـال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَـدْرِي * وَ يَسّـرْ لِي أَمْـرِي * وَ احْلُـلْ عُقْـدَةً مِـنْ لِسـانِي * يَفْقَهُـوا قَـوْلِي * وَ اجْعَـلْ لِي وَزِيـراً مِـنْ أَهْـلِي * هـارُونَ أَخِـي * اشْـدُدْ بِـهِ أَزْرِي**﴾ الآيـة، فأنزلـت عليـه قرآنـاً ناطقـاً ﴿**سَنَشُـدُّ عَضُـدَكَ بِأَخِيـكَ وَنَجْعَـلُ لَكُـما سُـلْطاناً**﴾ اللهـم وأنـا محمـد نبيّـك وصـفيّك اللهـم فـاشرح لي صـدري ويسـر لي أمـري واجعـل لي وزيراً من أهلي علياً أُشـدد بـه ظهـري). قـال أبـو ذر: فـو الله مـا اسـتتم رسـول الله الكلمـة حتـى أنـزل عليـه جبرئيـل مـن عنـد الله، فقـال: يـا محمد إقـرأ، فقـال: ومـا أقـرأ؟ قـال: إقـرأ ﴿**إِنَّـما وَلِـيُّكُمُ اللهُ وَرَسُـولُهُ**﴾، إلى ﴿**راكعون**﴾[١].

أمّا ما جـاء مـن هـذا الـنمط بعـد الإمـام الحسـن فعـلى لسـان عـلي بن الحسـين عليه السلام، في قولـه: (أيهـا النـاس! مـن عرفنـي فقـد عرفنـي، ومـن لم يعرفني أنبأتـه بحسـبي ونسـبي... أنـا ابـن مـن دنـا فتـدلى فكـان قـاب قوسـين أو أدنـى، أنـا ابـن مـن صـلى بملائكـة السـماء، أنـا ابـن فاطمـة الزهراء، أنا ابـن سـيدة النسـاء! قـال: فلـم يـزل يعيـد ذلـك حتـى ضـج الناس بالبكاء والنحيب)[٢].

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ٨١.

(٢) الفتوح لابن أعثم ٥/ ١٣٣.

و"نا" المتكلمين في خطبة الإمام الحسن الضمير المتصل مرّة واحدة "مودّتنا"، فضلًا عمّا تقدّم من (أنا) و (عرفني).

وكرّر أيضًا الكلمات الدالّة على الإمام نفسِه، ثماني مرّات: ابن البشير، ابن النذير، ابن الداعي إلى الله، ابن السراج المنير، من أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس، أهل بيت افترض الله مودتهم.

فكان مدار الخطبة "الأنا" الواثقة بحججِها، القويّة بارتباطها بالبشير النذير، السراج المنير، الداعي إلى الله، وارتباط هذه "الأنا" ارتباط نسب، وارتباط بمضامين عظيمة: هي البشرى والإنذار والدعوة، وقويّة الحجة أيضاً بوجوب المودّة التي نزل بها القرآن الكريم، إذ إنّ مودّتهم حسنة.

لكن المشكلة في النسبة الكبيرة من هؤلاء المخاطبين غير المتمحّضين إخلاصاً للإمام، ولا للمنهج الذي هو عليه، ولاسيما المتردّدون البعيدون عن الدوران بمدار ما يدعوهم إليه، التي حمل لواءها والده أمير المؤمنين عليّ ﷺ، مع أنّهم كانوا من ضمن جيشه، لكنّه لم يتسنَّ له إعدادهم على وفق ما كان يريد، بسبب تتابع الحروب، في حين كانوا يبحثون عن مخرج، مهما كان هذا المخرج، بعد أن امتدّت حروب الجمل وصفين والنهروان، وبعد أن سرى

الشك إليهم، إذ ربما أصبحوا يفكرون بعد الإعلان عن تسليم الأمور إلى الإمام الحسن عليه السلام، (بأنّ المعركة هي معركة بيت وبيت، لا معركة شخص يمثل الرسالة... [أمّا البيعة فـ] مفهوم جماهيريّ، لا على أساس نظريّة العصمة والنصّ الإلهيّ)[١]، ذلك الشكّ الذي صار يكبر عندهم، بحسب ما يرى السيّد محمد باقر الصدر الذي يقول أيضاً: (معاوية بحسب الظاهر كان ملتزماً للشكليات التي هي مقياس الإسلام عند الجماهير غير الواعية، ولم يكن قد صدر منه إلى ذاك الوقت انحراف واضح جليّ على مستوى الجماهير، ولم تكن قد صدرت منه معصية واضحة محدّدة)[٢].

أمّا المقطع الثاني من خطبة الإمام الحسن عليه السلام فالكلام في الوعظ والنصيحة، وعظ الآخرين المخاطبين، وهذا هو منهجه وسيرته، وما عليه آل البيت أهل الكساء الذين طهّرهم الله بآية التطهير، وآية المباهلة، وشرّفهم صلى الله عليه وآله بحديث الثقلين[٣].

---

(١) أئمّة أهل البيت ٢٥٤، و٢٧٥.

(٢) نفسه ٢٥٤.

(٣) صحيح مسلم، حديث ٦٢٤٦، ٦٢٥١ ٦٢٥٤، ص٩٠٩- ٩١٠.

"فبايعه الناس، وكان الحسن يشرط عليهم: (إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت)[1].

فكان الشرط الأساس في المبايعة: **"أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت"**، وهذا هو التدبير المهم الذي اتّخذه الإمام الحسن، في مواجهة المعضلة الكبرى التي واجهت والده أمير المؤمنين ﷺ، ولاسيّما في محنة فرض التحكيم، والانشقاق بسببه، وبهذا كان يُلقي الحجّة على المنافقين، الذين يظهرون غير ما يبطنون، الذين ربّما سيتحجّجون ويغيّرون مواقفهم بحسب أهوائهم.

إنّ الدنيا دار بلاء وفتنة: أفاده من قوله تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وأفاده أيضاً من الحديث: "لم يبق من الدنيا إلاّ بلاء وفتنة"[2]، والبلاء: الامتحان والتكليف في الأمر الشاق، والفتنة: فتنة الشبهة وفتنة الشهوة، وسيتكرّر لفظ الفتنة في خطب أخرى.

وهذه الجملة هي الجملة المركزيّة في المقطع الثاني من الخطبة، دالّة على توكيد هذا المعنى، بـ أداة التوكيد (إنّ)، وما بعد هذه الجملة من جمل توضّح ضرر التمسّك بهذه الدار وتضييع ما سواها.

---

(١) نهاية الأرب ٢٠ ٢٣٥.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٢٩٦.

وكـلّ مـا فيهـا فـإلى زوال واضـمحلال: أي مـا في الـدنيا، **و** "هـا" من "فيها": يعود على الدنيا نفسها، والجملة وصف لها.

وقد نبّأنـا الله عنهـا كـيما نعتـبر: نبّأنـا عـن هـذه الـدنيا: أنّهـا دار بـلاء وفتنـة، و "هـا" يعـود عـلى الـدنيا أيضـاً، و "كـي" تعليليّـة، "مـا" كافّة، أي لأجل أن نعتبر.

فقـدّم إلينـا بالوعيـد كـي لا يكـون لنـا حجـة بعـد الإنـذار: الفـاء لعطف جملة "قـدّم" عـلى مـا قبلهـا، وإلينـا وبالوعيـد: متعلقـان بالفعـل، وكي: تعليليّة أيضًا.

فازهــدوا فــيما يغنــى: فعــل أمــر للمخــاطبين، في الابتعــاد عــن الذي يغنى: مـن غَنِـيَ غِنـىً، الاسـتغناء عـن غـير الله، ورجـلٌ غـانٍ عـن كذا أي مسـتغنٍ، قـال تعـالى: ﴿**كَـأَنْ لَمْ يَغْنَـوْا فِيهَـا**﴾ (الأعـراف ٩٢) أي لم يقيموا(١).

وارغبــوا فــيما يبقــى: فعــل الأمــر الثــاني، يقابــل الأمــر في الجملــة السـابقة ويضـادّه في المعنـى، إذ يُريـد التمسّـك بـما ينجـي ويبقـي، وتـرك سواه.

---

(١) لسان العرب ٥/ ٣٣١٠ ـ ٣٣١١.

وخافوا الله في السرّ والعلانية: وهذا هو الأمر الثالث، وهو الأمر بالمطابقة بين السرّ والعلن، إذ إنّ بالمنافقين من المخاطبين حاجة إلى هذا التنبيه، وقد تكرّر التحذير من عدم المطابقة في أكثر من اثنتي عشرة آية من القرآن الكريم، من مثل قوله تعالى: ﴿**وَ الله يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ**﴾ (النحل: ١٩)؛ وقد أحال الإمام المنافقين إلى الله الذي يعلم السرّ والعلن.

وهذه الفقرة المهمّة - فقرة الوعظ- تستند إلى الترغيب والترهيب، والاعتبار بفناء الدنيا وتغيّر حالها، ومخافة الله، إذ عرض الإمام رأيه في الدنيا، ويشير إلى أنّ منهجه وسلوكه متحدان بما أراده الله، (**فالدنيا دار بلاء وفتنة، وكلّ ما فيها فإلى زوال واضمحلال، فازهدوا فيما يغنَى، وارغبوا فيما يبقَى، وخافوا الله في السّرّ والعلانية**)، وفي هذا ردٌّ لما ينسبه المبغضون - ممّا عرضنا سابقاً - فضلاً عن المكانة المعروفة للإمام عليه السلام، إذ في هذا النصّ إشارة تطبيقية.

إنّ علياً عليه السلام في المحيا والممات والمبعث عاش بقدر ومات بأجل: الاعتبار به عليه السلام.

وإنّي: عاد بياء المتكلم إلى الربط بمضمون المقطع الأوّل.

أبـايعكم: فعـل مضـارع مرفـوع، وفاعلـه تقـديره "أنـا" ومفعولـه الكاف يعود على المخاطبين في أوّل الخطبة في قوله: "أيها الناس".

على أن تسالموا من سالمت:

على + مصدر مؤوّل من "أن" والفعل + من سالمت.

وتحاربوا من حاربـتُ: التـاء تعـود عليـه، والعطـف عـلى مـا سـبقه والبنـاء كسـابقه، أي بيعـة مشـروطة بموافقتـه في اتخـاذ موقـف السـلم والحرب.

ونلحـظ ثـلاث توكيـدات متناسـقة توزّعـت المقطـع الثـاني مـن الخطبـة، وشـدّت أجـزاء هـذا المقطـع، بعضِـها إلى بعـض، بــ "إنّ"، في تراكيب منسجمة التتابع والدلالات:

إنّ الدنيا...

وإنّ علياً...

وإنّي...

والتوكيـد الأخـير جملـة مركزيّـة ثانيـة مقصـودة مطلوبـة، في هـذه الخطبة مثلما سنرى:

أي: "**إنّي أبـايعكم عـلى أن تسـالموا مـن سـالمت، وتحـاربوا مـن حاربت**".

نفي صدور أوّل هذه الخطبة:

لا بُدَّ من محاورة من ادّعى اختراع الجزء الأوّل من هذه الخطبة من دون أدلّة معتبرة، فقد جاء في كتاب (خامس الخلفاء الراشدين): "اخترع الشيعة الرافضة الكثير من الخطب، ونسبوها كذباً وبهتاناً للحسن ﷺ... منها:... أيُّها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، انا ابن الداعي إلى الله بإذنه أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله مودّتهم في كتابه فقال تعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**﴾ (الشورى: ٢٣)، فالحسنة مودتنا أهل البيت"[١].

نقول: إنْ صدرت هذه الخطبة عن الإمام الحسن فهي الحقيقة الواضحة التي لا مِراء فيها، والتي لا يمكن أن يدّعيها غيره، وأنّ مثل هذا الكلام هو المتوقّع منه في مثل الموقف الذي هو فيه والمناسبة التي استدعتها.

---

(١) أمير المؤمنين الحسن بن علي رض ١٦٢ ـ ١٦٣.

أمّا عبارة اختراع الشيء في اللغة: فهو إنشاؤه وابتداؤه وابتداعه من دون أساس[1]، فالأساس لهذه الخطبة جليّ معروف، والتعريف بمثل هذا متداول ومعقول أيضًا مثلما سنذكر بعد قليل.

ويسترسل مدّعي الاختراع قائلاً: (ونسجوا خطبة لأبي الأسود الدؤلي إلى أن قالوا:... ثمّ بكى [أبو الأسود] حتّى اختلفت أضلاعه، ثمّ قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإنّي لأرجو أن يجبر الله به ما وَهِيَ، ويسدّ به ما انثلم ويجمع به الشمل ويطفئ به نيران الفتنة فبايِعوه ترشدوا، فبايعت الشيعة كلها وتخلف ناس ممن كان يرى رأي العثمانيّة وهربوا إلى معاوية)[2].

وأقول أيضاً: إنّ سيرة أبي الأسود ومواقفه معروفة، وتسجيل هذه الخطبة موثّق، وديوانه المنقول عن أبي سعيد السكري (ت٢٨٨هـ) يشهد لها ولغيرها ولاسيما قصيدته التي رثى بها الإمام عليه السلام، ومنها[3]:

(١) تاج العروس ٢٠/ ٤٩٨.

(٢) أمير المؤمنين الحسن بن علي عليه السلام ١٦٣، ومقاتل الطالبيين ٥١ - ٥٢.

(٣) ديوان أبي الأسود الدؤلي ١٥٢.

ألا ابلغْ معاويةَ بن حربٍ ... فلا قرّتْ عُيونُ الشامتينا
أفي شهرِ الصيامِ فجعتمونا ... بخيرِ الناسِ طُرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ مَنْ ركِبَ المطايا ... وخَيّسَها ومن ركب السّفينا
ومن لَبِسَ النعالَ ومَنْ حَذاها ... ومَنْ قرأ المثاني والمئينا
إذا استقبلتَ وَجْهَ أبي حسينٍ ... رأيتَ البَدْرَ راق الناظِرينا
لقد علمتْ قريشٌ حيث كانَتْ ... بأنّك خيرهُمْ حَسَباً ودِينا

وقوله:

أحبُّ محمّداً حباً شديداً ... وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا
أحبّهُمُ لحبِّ الله حتّى ... أجيءُ إذا بُعِثتُ على هَويَّا
فإن يكُ حُبُّهُم رشداً أُصِبهُ ... ولستُ بِمُخطئٍ إن كان غَيّا
يقول الأرذلون بنو قُشيرٍ ... طوال الدهر ما تنسى عليّا
بنو عَمّ النبيّ وأقربوه ... أحبُّ الناس كلّهِمُ إليّا[1]

---

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي ١٥٣.

لكن ربّما كان الاعتراض والإنكار بسبب الوصية من أمير المؤمنين إلى الإمام الحسن عليه السلام، إذ تسلّم الإمام الحسن عليه السلام على رأي السيد محمد باقر الصدر (مقاليد الحكم عقيب أبيه مباشرة... وأنّ الذي منع الإمام علياً عليه السلام من الإعلان الرسميّ السياسي على مستوى الجماهير عن خليفته الإمام الحسن عليه السلام له في المركز السياسي هو تفادي التصور الخاطئ... معركة علي عليه السلام مع معاوية معركة أسرة مع أسرة، معركة عشيرة مع عشيرة لا معركة رسالة مع رسالة، ولهذا أوصى الحواريين الذين يؤمنون بالنظريّة الإسلاميّة الصحيحة للإمامة، أوصى إليهم بإمامة الحسن عليه السلام، وعرّفهم بأنّ الحسن عليه السلام هو الإمام الحجة، من قبل الله الوصيّ من بعده، إلاّ أنّه بوصفه حاكماً ورئيسًا للدولة، لم يُعلن إعلاناً رسمياً سياسياً...)[١].

وكان استخلاف الحسن عليه السلام يوم الجمعة ٢١ رمضان سنة ٤٠هـ؛ ونزل عن الخلافة، سنة ٤١هـ؛ (قال أبو مخنف: بويع الحسن في شهر رمضان سنة أربعين وصالح معاوية في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين، فكان أمره (كذا) ستة أشهر وأيّاما)[٢]. أو "كانت مدة (خلافة) الحسن سبعة أشهر وسبعة أيام"[٣].

---

(١) أئمة أهل البيت ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٣/ ٥٤.

(٣) نهاية الأرب ٢٠/ ٢٢٩.

الخطبة الثالثة: خطبة الحثّ على الجهاد

خطبة الحثّ على الجهاد خطبة قصيرة، جاءت بعد فترة من الاغتيال المفاجئ لأمير المؤمنين ﷺ، إذ واجه فيها الإمام الحسن ﷺ، تعب جند والده، وعدم استعدادهم لمواصلة الحرب، حتّى أنّه لم يأخذ فرصته في إعدادهم الإعداد الذي يناسب مواجهة جند الشام في تلك المرحلة، أو التفكير في مراجعة ما حصل من فراغ برحيل والده، أو تدبير ما وجد من انهيار كبير في الجبهة الداخليّة التي لم تكن في الحسبان، في ظلّ حرب نفسيّة، تستند إلى تسريب شائعات تتحدّث عن رسائل ترسل من كبار رجال أهل الكوفة إلى معاوية، من رجال كانوا إلى عهد قريب في مقدّمة من حارب مع أبيه، من مثل شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث الذين كانوا قد شهدوا صفين مع أمير المؤمنين، ثم هم أنفسهم وأمثالهم من حارب لاحقاً الحسين ﷺ بعد الحسن ﷺ يوم كربلاء[1]، ثمّ تأكّد أنّهم مراوغون نهّازون للفرص، إذ كانوا في مرحلة لاحقة

---

(١) أعيان الشيعة، محسن الأمين، بيروت، د. ت، ١/ ٣٢٦.

قد كاتبوا الحسين ﷺ، وطلبوا منه القدوم إلى الكوفة، لكنهم نكثوا وتراجعوا، وكانوا من الذين حاربوه، ولقد خاطبهم الحسين ﷺ يوم عاشوراء (فنادى: يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث)[١]، فالموقف نفسه الذي اتخذه شمر بن ذي الجوشن الذي ذُكر قبل قليل.

وفي المقابل كانت قد وصلت إلى الكوفة رسائل من الشام، تحاول إغراء قادة جيش الإمام وكبار أتباعه، تتضمّن كسب ودّهم، وتعدهم بوعود، وتمنّيهم بأمنيات، لتبعدهم عن الإمام، وتجتذبهم إلى الفريق المخالف، إلى جانب تزوير مواقف بعض هؤلاء القادة أمام أنظار أتباعه من مجتمع أهل الكوفة، من مثل ما زوّر من رسالة باسم قيس بن سعد، تلك التي تدّعي بأنّه على استعداد لمصالحة معاوية، أو الحديث عن انتقاله فعلًا إلى معسكر معاوية؛ فضلاً عن ادّعاءات ومزاعم تتحدّث عن أنّ الإمام الحسن نفسه كان قد راسل في الصلح، أو وافق عليه[٢].

---

(١) معجم رجال الحديث ١٠/ ١٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٩١.

وكـان معاويـة يسـتميل النـاس بكثـرة الأمـوال التـي (جعلـت كثـيراً مـن المسـلمين يتطلعـون إلى التمتّـع بـالخيرات التـي أخـذت تتـدفّق... [وقـد] اهـتمّ بفـن الدعايـة والإعـلام، وأوكلـه إلى عـدد مـن الرجـال [الـذين] يهمهـم أمـره ويؤيّدونـه، فكـان يكثـر أعطيـات الشـعراء، وكـذلك شـيوخ القبائـل، لكسـبهم إلى صـفّه، ويعطـي مجـالاً واسعاً لولاته لكي يحقّقوا له بعض المكاسب الإعلاميّة والأمنيّة)[١].

فـيما كانـت جبهـة الإمـام تُنبـئ عـن فشـل التعبئـة العسـكريّة في الكوفـة، والمقـدّمات واضـحة في التـنبيه عـلى تراجـع حمـاس أتبـاع الإمام، فضـلاً عـن أجـواء الحـرب النفسـيّة التـي تعتمـد عـلى الفـوضى، وبثّ الرعب والشائعات[٢].

قـال ابـن أعـثم (ت ٣١٤هــ) في الفتـوح: (أقـام الحسـن بالكوفـة بعد وفاة أبيـه شـهرين كـاملين لا ينفـذ إلى معاويـة أحـداً ولا ذَكَـرَ المسـير إلى الشام... وإذا بكتاب عبـد الله بـن عبـاس قـد ورد عليـه مـن البصـرة وإذا فيـه: لعبـد الله الحسـن أمـير المـؤمنين مـن عبـد الله بـن عبـاس، أمـا بعد يا بن رسـول الله! فـإن المسـلمين ولّـوك أمـرهم بعـد أبيـك ﷺ، وقـد

(١) معاوية بن أبي سفيان ٢١٤.

(٢) عاصفة السلام، كمال السيد ١٩٠ ـ ١٩١.

أنكـروا أمـر قعـودك عـن معاويـة، وطلبـك لحقّـك، فشَـمّر للحـرب وجاهـد عـدوك، ودارِ أصـحابك وولّ أهـل البيوتـات والشـرف مـا تريـد مـن الأعـمال، فإنـك تشـتري بـذلك قلـوبهم، واقتـدِ بـما جـاء عـن أئمـة العـدل مـن تـأليف القلـوب والإصـلاح بـين النـاس، واعلـم أنّ الحرب خدعة، ولك في ذلـك سَـعَة مـا كنـت محاربًـا مـا لم تنـتقص مسـلماً حقاً هو له، وقـد علمـت أن أبـاك علياً إنـما رغـب النـاس عنـه وصـاروا إلى معاويـة لأنـه واسـى بـين النـاس في الفـيء وسـوّى بيـنهم في العطـاء، فثقل ذلك عليهم، واعلم أنّك تحارب من حارب رسول الله...)[1].

ويـذكر أنّ الإمـام انتظـر (في الكوفـة شـهرين لا يـذكر معاويـة ولا يذكر الحرب والجهاد، حتّـى تكلّـم النـاس، ثـمّ أرسـل ابـن عبـاس كتابـاً من البصـرة، فاضطرّ - مـن أجـل إتمـام الحجـة - إلى تجهيـز الجـيش لـئلاّ تكـون حجـة لأهـل الكوفـة عنـد الله تبـارك وتعـالى، وهـو يعلـم أنّ رؤوس أهـل الكوفـة بـايعوه ولكـنّهم أرسـلوا المكاتيـب المتـواترة إلى معاويـة يسترضـونه ويقرعـون أبوابـه...)[2]؛ وهـذا ربـما هـو الـذي نبّـه عليـه في خطبـة البيعـة السـابقة، في قولـه: " **وخـافوا الله في السـرّ والعلانية** ".

---

(١) ٢/ ٣.

(٢) الخصائص الفاطميّة ٢/ ٥٧٤.

وقيل: (ثمّ مكث الحسن عليه السلام أيّاماً ذات عدد يقال خمسين ليلة، ويقال أكثر منها، وهو لا يذكر حرباً ولا مسيراً إلى الشام"[١]؛ ومن بعدها "كتب ابن عباس إلى الحسن بن عليّ: إنّ المسلمين قد ولّوك أمورهم بعد عليّ، فشمِّر لحربك، وجاهد عدوّك، ودارِ أصحابك، واشترِ من الظنين دينه ولا تسلّم دينك، ووالِ أهل البيوتات والشرف تستصلح عشائرهم، واعلم أنّك تحارب من حادَّ الله ورسوله، فلا تخرجنَّ من حقٍّ أنت أولى به، وإن حال الموت دون ما تحبّ)[٢].

وفي شرح نهج البلاغة: (أما بعد، فإنّ المسلمين ولوك أمرهم بعد علي عليه السلام، فشمّر للحرب، وجاهد عدوك، وقارب أصحابك، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينا، ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح به عشائرهم، حتى يكون الناس جماعة، فإنّ بعض ما يكره الناس - ما لم يتعد الحق، وكانت عواقبه تؤدى إلى ظهور العدل، وعز الدين - خير من كثير مما يحبه الناس إذا كانت

---

(١) موسوعة عبد الله بن عباس ٤/ ٣٤٨، وأنساب الأشراف ترجمة ابن عباس ٤٣.

(٢) نفسه ٤/ ٣٤٨، وينظر: أنساب الأشراف ترجمة ابن عباس رقم ١٠٧.

عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وذل المؤمنين، وعز الفاجرين. واقتد بما جاء عن أئمة العدل، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس، فإن الحرب خدعة، ولك في ذلك سعة إذا كنت محارباً، ما لم تبطل حقاً. واعلم أن علياً أباك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه أساء بينهم في الفيء، وسوّى بينهم في العطاء، فثقل عليهم، واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الاسلام، حتى ظهر أمر الله، فلما وحد الرب، ومحق الشرك، وعز الدين، أظهروا الإيمان وقرأوا القرآن، مستهزئين بآياته، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى، وأدّوا الفرائض وهم لها كارهون، فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار، توسموا بسيما الصالحين، ليظن المسلمون بهم خيرًا، فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم، وقالوا: حسابهم على الله، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا فهم الأخسرين، وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلا غياً، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتاً، فجاهدهم ولا ترض دنيّة، ولا تقبل خسفا، فإن علياً لم يجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب، وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر، أن حكموا بالعدل،

فلما حكموا بالهوى، رجع إلى ما كان عليه، حتى أتى عليه أجله، ولا تخرجن من حق أنت أولى به، حتى يحول الموت دون ذلك. والسلام)[١].

فابن عباس يقترح تغيير منهج أمير المؤمنين في ترك قيم العدل التي سار عليها في عهده، وهو مفهوم من عباراته الثلاث المؤلّفة من أفعال الأمر التي ذكرها:

دارِ، واشترِ، ووالِ

وتكرّرت فيما رُوي عنه في رسالته:

دارِ أصحابك: دار يدور دوراناً، دلالته العناية والرعاية والتمييز، وعند ابن فارس: إحداق الشيء بالشيء من حواليه[٢]، وفي القرآن: ﴿**تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ**﴾ (البقرة: ٢٨٢).

واشترِ من الظنين دينه: الظنّة: التهمة، والظنين: المتهم، والظَّنون: السيِّئ الظنّ[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣١٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٤٦٣.

ووالِ أهل البيوتات والشرف تستصلح عشائرهم: وأل يئلُ: لجأ يلجأ، وأل إليه: التجأ: والموئل الملجأ[1]، فهذا يدلّ على استمالتهم واللجوء إليهم على حساب المعتقد.

ثمَّ يعلّل هذا التوجّه، بفشل سياسة أمير المؤمنين في جذب الأصحاب، وكسب الولاء، وتراجع الحماس، بقوله:

(ورغب الناسُ عن عليّ إلى معاوية أنّه أساء بينهم في الفيء): رغب الناس عنه: تركوه وما أرادوه[2]، وأساء في الفيء: لم يوزّع الغنائم بحسب ما يريدون ويشتهون.

(وسوّى بينهم في العطاء، فثقل عليهم): سوّى تسوية ساوى بينهم وعدل، وهذا هو منهجه عليه السلام الذي لا يرتضيه أهل الجور.

فالتمييز لكسب ولائهم (واشترِ من الظنين دينه... ووالِ أهل البيوتات والشرف تستصلح عشائرهم)، والظنين: المشكوك بولائه، أو المتهم، أو المعادي؛ والبيوتات: جمع الجمع من بيوت، والبيت من بيوتات العرب: الذي يضمّ شرف القبيلة، والبيوتات أعلى بيوت العرب، والبيت الشريف[3].

---

(١) نفسه ٦/ ٧٩٣.

(٢) نفسه ٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦.

(٣) ترتيب كتاب العين ٢/ ١١١٨، وتاج العروس ٤/ ٤٥٧.

ومثـل هـذه النصـيحة كـان قـد أسـداها أصـحاب أمـير المـؤمنين، إذ سـألوه أن يلـتمس العـدل بـالجور، وأن يحيِـي الحـقَّ بالباطـل، وأن يجمع الناس إليه بعد تفـرّقهم عنـه، بعـد أن فـرّ كثـير مـنهم طلبًـا للـدنيا، فقالوا له يـا أمـير المـؤمنين اعـطِ هـذه الأمـوال وفضّـل هـؤلاء الأشراف من العـرب وقـريش عـلى المـوالي والعجـم، واسـتمِل مـن تخـاف خلافـه مـن النـاس وفـراره إلى معاويـة، وإنـما قـالوا لـه ذلـك لمـا كـان معاويـة يصنع في المـال، فقـال لهـم: (أتـأمرونّي أن أطلـب النصـر بـالجور، فـيمن وُلّيـت عليـه! والله لا أطـور بـه مـا سـمر سـمير، ومـا أمّ نجـم في السـماء نجمًا! ولو كان المال لي لسوّيتُ بينهم، فكيف وانما المال مال الله!)[1].

وفي التـذكرة الحمدونيّـة: (دخـل عليـه قـوم فقـالوا: يـا أمـير المؤمنين لو أعطيـت هـذه الأمـوال وفضّـلت بهـا هـؤلاء الأشراف، ومـن تخاف فراقه، حتى إذا اسـتتب لـك مـا تريـد عـدت إلى أفضـل مـا عـوّدك الله تعـالى مـن العـدل في الرعيـة والقسـم بالسـوية، فقـال: تـأمرونني أن أطلـب النصـر بـالجور فـيمن وليـت عليـه مـن أهـل الإسـلام؟ والله لا أفعل ذلك مـا سـمر ابنـا سـمير، ومـا آب في السـماء نجـم، لـو كـان هـذا المال لي لسوّيت بينهم، وكيف وإنما هي أموالهم)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٨/ ٢٧٩.

(٢) ١/ ١٠٠.

ولـو قابلنـا الأوامـر الثلاثـة الموجهـة إلى أمـير المـؤمنين بمثلهـا إلى الإمام الحسن لوجدنا

اعطِ هذه الأموال ودارِ أصحابك

فضّـل أشراف العـرب وقـريش عـلى المـوالي والعجـم ووالِ أهـل البيوتات والشرف.

استـمِل مـن تخـاف خلافـه مـن النـاس وفـراره إلى معاويـة واشـترِ من الظنين دينه.

فالتقـارب واضـح بـين الاثنـين، الأب وابنـه، والامتنـاع واحـد، والسـيرة واحـدة؛ عـلى الـرغم مـن الحاجـة والصـعوبة التـي كانـا يواجهانهـا، إذ (اشـتهرت في تلـك الفـترة - فـترة تسـلم الإمـام الحسـن عليه السلام لزمـام الخلافـة حتـى مرحلـة الصـلح - الخيانـات وشراء معاويـة لزعامـات القبائـل وبـث الشـكّ بـين جيـوش الإمـام، ومـا إلى ذلك. وفي المقابـل كـان جـيش معاويـة متماسـكاً لأن معاويـة قـد اشـترى القـادة بأموالـه "أمـوال بيـت المـال طبعـاً" وأعطـاهم الأراضي، ووعـدهم بكثـير مـن المـال. هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى لم يسـتخدم الإمـام الحسـن عليه السلام نفـس أسـاليب معاويـة، فقـد كـان لـه أن يغـري أصـحاب الزعامـات وأصـحاب النفـوذ، لاسـتمالتهم إلى جانبـه، وقد اقترح عليـه الـبعض هـذا الخيـار لكنـه رفضـه وقـال: "أتريـدوني أن

أطلب النصر بالجور، فوالله ما كان ذلك أبداً". وباختصار: فإن جيش معاوية قائم على الإغراءات والأموال، بينما جيش الحسن عليه السلام كان قائماً على مدى اعتقاد الجيش برسالية المعركة، وليس بوعود سنّها الإمام عليه السلام لإكمال جيشه)[١].

ونجد أنّ خصم الإمام الحسن معروف بـ (استخدام المال في تأكيد ولاء الأعوان وتأليف القلوب... وكان إذا بلغه عن رجلٍ ما يكرهه أسكته بالمال)[٢].

وسنجد بعد قليل أنّ الإمام سيثبت على هذا المنهج منهج أمير المؤمنين، ويترك نصيحة ابن عمّه - مثلما تركها والده - ولا يلتفت إلى ما أراده منه، ولاسيّما التي تدعوه إلى عدم المساواة والتمييز الجائر بين أتباعه.

بوادر الاستعداد للمواجهة:

يَبدو أنّ بعض المؤرخين لم يقطع بمن بادر إلى غزو غريمه بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، أو من الذي طلب الصلح أوّلاً، ومن فاتح صاحبه بالبيعة، لكنّنا نجد في رسالة لمعاوية إلى عمّاله يستحثّهم للقتال: (إنّ الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعليّ بن أبي طالب رجلاً

---

(١) الانتصار للعاملي ٨/ ١٣٠ - ١٣١.

(٢) معاوية بن أبي سفيان ٢١٣.

من عباده فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبِلوا إليَّ حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم وجهدكم وحسن عدّتكم فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان... فاجتمعت العساكر إلى معاوية بن أبي سفيان وسار قاصدًا العراق؛ وبلغ الحسن خبر مسيره، وأنّه بلغ جسر منبج فتحرّك لذلك وبعث حُجر بن عديّ يأمر الناس والعمال بالتهيُّؤ للمسير، ونادى المنادي: الصلاة جامعة فأقبل الناس... فصعد المنبر[1]. (صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، **فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهًا، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿اصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** (الأنفال: ٤٦)، **فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون، إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه أنّا كنّا أزمعنا على المسير إليه، فتحرّك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا، ونرى وتروا**)[2].

---

(١) مقاتل الطالبيين ٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٢٩.

فـإنّ الله كتـب الجهـاد عـلى خلقـه: إنّ: حـرف مشـبّه بالفعـل لتوكيـد كتابـة الله تعـالى الجهـاد، وقـد تكـرّر التوكيـد بــ (إنّ) خمـس مـرّات، لمناسـبة (الحـثّ عـلى الجهـاد)، والتوكيـد بنفـي نيـل مـا يحـبُّ المخاطبون بـ (إلاّ).

الله: اسم "إنّ"، وجملة: **كتَبَ الجهادَ على خلقه**: خبرها.

وسـمّى الجهـادَ كرهـاً: لمـا يسـبّبه مـن آلام، وفنـاء النفـوس والأمـوال، ومفارقـة الأهـل وافتقـاد الأمـن والرفـاه[1]، وقـد اسـتفاد الإمـام هـذه الجملـة مـن القـرآن الكـريم، قـال تعـالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**﴾ (البقـرة: ٢١٦)، فمصـدر قـوّة جملـة الإمـام، أنّ أصـلها آيـة قرآنيّـة، ويُـراد بكتابـة الجهـاد الفـرض والوجـوب، وقـد استبدل القتال بالجهـاد لأنـه يُفسّـر بـه، وكـرّر الإمـام مضـمون الجهـاد مـرّة ثانيـة: بالضـمير العائـد عليـه مـن "سـمّاه" وثالثـة: مضـاف إليـه: "أهل الجهاد".

والفـارق بـين تركيـب جملـة الآيـة وجملـة الخطبـة، أنّ الفعـل في الآيـة بُنِـي للمفعـول وفي الخطبـة إظهـار الفاعـل "الله" جـلّ وعـلا، وإخفـاؤه في الآيـة أنسـب؛ فالإسـناد في الآيـة إلى القتـال، وفي الخطبـة إلى

---

(١) ينظر: مواهب الرحمن للسبزواري ٣/ ٣١٧.

مشرع القتال أو الجهاد، وهو لفظ الجلالة الله تعالى، أمّا جملة "وهو كُرهٌ لكم" في الآية، فهي جملة اسميّة واقعة موقع الحال، وفي الخطبة جملة فعليّة، "وسمّاه كرهًا" جملة استئنافيّة.

ثمّ جاء تكرار لفظ **الصبر** ثلاث مرّات أيضًا، من الآية **﴿اصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** (الأنفال: ٤٦)، مرّتين بفعل الأمر (اصبروا) وبالاسم المجرور (مع الصابرين)، ثمّ بالحصر في قوله: فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون، فلا نَصْرَ إلاّ بالصبر على ما تكرهون.

وفي هذا التكرار دلالة على صعوبة ما يدعوهم إليه، إذ بالمخاطبين حاجة إلى الثبات، في مواجهة ما يكرهون، يتأكّد هذا من قول الإمام: **فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون**، حصر نيل ما يحبّون بالصبر على ما يكرهون، وهي معادلة عادلة:

الصبر على ما يكرهون = نيل ما يحبون.

اخرجوا: فعل أمر المخاطبين.

إلى معسكركم: جار ومجرور متعلق بالفعل، بالنخيلة: كذلك.

حتى ننظـرَ: نظَـرَ يَنْظُـرُ نَظَـرًا، ونظرتـه بمعنـى انتظـرت، ونظـر إلى كــذا مــدّ طرفــه إليــه وتــدبّره وتأمّلــه[١]؛ و(النظــر تقليــب البصــــر والبصــيرة لإدراك الشــيء ورؤيتــه، وقــد يُــراد بــه التأمّــل والفحــص، وقد يُراد به المعرفـة الحاصـلة بعـد الفحـص وهـو الرويّـة... قـال تعـالى: ﴿**وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾ (هود: ١٢٢)... والنظر البحث)[٢].

حتّى: حرف غاية توسّط بين فعل الأمر "اخرجوا"، والفعل المضارع المنصوب "ننظر"، فهذا الحرف واقع بين جملتين الأولى مستقلّة والثانية غير مستقلّة، والجملة الثانية غاية للأولى[٣]، أي إلى أن ننظر.

وتنظروا: عطف على مـا قبلـه، كأنّـه يريـد تمييـز مـن يسـتجيب ممّـن لا يستجيب لدعوتـه، فالتـداول والنظـر سـيكون مـع ممّـن سيحضـــر إلى المكان الذي حدّده (**معسكر النخيلة**).

ونرى وتروا: نفكّر ونعتقد، وتفكرون وتعتقدون، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُـمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَ نَراهُ قَرِيباً**﴾ (المعارج: ٦-٧)؛ قال تعـالى: ﴿**إِنِّي أَرى مـا لا تَرَوْنَ**﴾ (الأنفال: ٤٨)؛ وقد عطف الإمام الجملتين على ما قبلها.

---

(١) ينظر: ترتيب جمهرة اللغة ٣/ ٤٤٤.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن٦٨٤ ـ ٦٨٦.

(٣) الربط بين الجمل في اللغة العربيّة ٢٩٣.

ويُلحظُ أنّ الإمام استفاد من آيات القرآن الكريم في هذه الخطبة (خطبة الحثّ على الجهاد)، مباشرة أو من دون مباشرة:

كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**﴾

﴿**وَاصبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾

حتى **ننظر وتنظروا** ﴿**وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾

[حتى] نرى وتروا ﴿**إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ**﴾

لما لهذه الآيات من تأثير مباشر في المخاطبين، والتأثير في المحاججة العقليّة والعاطفيّة.

وأفاد الإمام من النسق، والانسجام، فالتشابه بين العناصر والإشارات واضح: **ننظر، وتنظروا؛ ونرى وتروا**، وهو مستفاد من النظم القرآني مثلما عرضنا، وفيه ثنائيّة (نحن وأنتم)، وكذلك لذّة تلاقي الصيغ وانسجامها صوتيًّا وصرفيًّا ودلاليًّا، وكذلك تأمّل الروعة في حوار المخاطبين وأخذ رأيهم وتجسيد الأخوّة والمساواة، واحترام العقول، من دون القطع واستبداد السلطان الذي يفرض الرأي، لكنّ المخاطبين في هذا الموقف - فيما يبدو - لم يكونوا بمستوى التفاعل مع مثل هذا الخطاب، لكنّ النصّ يبقى منفتحًا للتلقّي، وكذلك التوثيق والديمومة، والقراءات المستقبليّة الأخرى،

ولأخـذ العـبرة، وفهـم السـيرة والسـلوك، والتعـرّف عـلى مسـتوى عرض الإمـام، ومضـمون مـا كـان يجـري عـلى حقيقتـه كـما كـان، بعيـدًا عن الهوى والعواطف.

وواضـح أيضـاً التهديـد المبـاشر لتحـرّك معاويـة قاصـداً ملاقـاة جـيش الإمـام، وأنّ الإمـامَ لا يبـدأ بقتـال إلاّ بعـد المراجعـة واسـتنفاذ الوسـائل المتاحـة، ومنهـا استشـارة مـن معـه، إذ إنّ هـذه الملاقـاة هـي الملاقاة الأولى بينـه وبـين معاويـة، فلـيس غريبًـا النظـر والمداولـة والـرأي على مثل الإمام.

وإنّ الإمـام في كلامـه ليتخـوّف خـذلان عامّـة النـاس لـه، اسـتناداً إلى مـا يقـرؤه في وجـوههم، ومـا لمسـه مـن تجاربـه السـابقة معهـم، والدليل على هذا من نـصّ الخطبـة، ومنـه تكـرار التوكيـد بعـدّة وسـائل، والتوكيـد لا يكـون إلّا لمـن لـه حاجـة بـه، وأنّ المخـاطبين سـكتوا، فـما تكلـم مـنهم أحـد ولا أجـابوه بحـرف واحـد؛ حتّـى (رأى ذلـك عَـدِيّ بـن حـاتم [مـنهم] قـام فقـال: أنـا عـديّ بـن حـاتم – سـبحان الله – مـا أقـبح هـذا المقـام! ألا تجيبـون إمـامكم؟! وابـن بنـت نبـيّكم؟! أيـن خطبـاء مُضـر الـذين ألسـنتهم كالمخـاريق في الدَّعـة؟! فـإذا جـدّ الجـدّ فروّاغون كالثعالب؛ أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها"[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

وفي مقاتل الطالبيين: (وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس إياه؛ قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف. فلما رأى ذلك عِدِيّ بن حاتم قال: انا ابن حاتم سبحان الله، ما أقبح هذا المقام؟ ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جدّ الجد فروّاغون كالثعالب أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها)[1].

كلامُ عَدِيّ بن حاتم يكشف سكوت المخاطبين وعدم استجابتهم وخذلانهم:

سبحان الله!

ما أقبح هذا المقام!

ألا تجيبون إمامكم؟!

وابن بنت نبيّكم؟!

أين خطباء مُضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدَّعة؟!

فإذا جدّ الجدّ فروّاغون كالثعالب؛ أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها.

---

(١) ٣٩.

يتضح ممّا تقدم (التثاقل في الزحف، والتلكّؤ في تلبية الأوامر العسكريّة، التي يصدرها الإمام... أصبحوا يشعرون بأنهم في موقف جديد...)[١].

في حين كان مدار الخطبة التوكيد على الجهاد، والصبر عليه، الذي يستوجب المبادرة، وإبداء الاستعداد، وإظهار الطاعة والولاء وقبول الأمر، وذلك ما كان ينتظره الإمام جواباً لقوله:

"إنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهًا".

وقوله: **"فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون"**.

ثمّ فسح المجال للتداول والحوار فيما بعد حضور الموعد الذي حدّده لتمييز المستجيبين من غيرهم، في قوله:

"حتى ننظر وتنظروا، ونرى وتروا".

فالغالبيّة العامّة من المخاطبين لم تتفاعل وما عرضه الإمام، بل ربما صارت تفكر في التملّص من الالتحاق **بمعسكر النخيلة**، الذي دعا إليه، وهذا ما حصل فعلًا استنادًا إلى قلّة عدد من حضر من المخاطبين.

---

(١) أئمّة أهل البيت ٢٧٣ - ٢٧٤.

لـذلك (شـعر الإمـام الحسـن بـالخطر عـلى الكوفـة مـن اجتيـاح معاويـة في هـذه الظـروف العاصـفة... وإنّ إصرار المئـات عـلى مواجهـة معاوية حتـى الـنفس الأخـير، يعنـي تـدفق عشـرات الآلاف مـن جنـود الشـام الـذين يضـمرون أحقـاداً دفينـة منـذ صـفّين ضـدّ العـراقيين، وإذا ما قُـدّر لهـم اقتحـام الكوفـة فلـن يتورّعـوا عـن انتهـاك الحرمـات وقتـل العشـرات مـن صـحابة الرسـول صلى الله عليه وآله، وكـان عـلى الحسـن أن يفكّـر في عواقـب الأمـور... نـذراً لا تبشـر إلّا بوقـوع مجـزرة كـبرى، يعقبهـا شرخ هائـل في نسـيج الأمّـة، وقـد تسـفر الأحـداث عـن ردّة عنيفـة عـن الإسـلام الحنيـف، وعـودة النـاس إلى عصـور الجاهليّـة المظلمـة... فـإذا كانت الكوفة ترغـب في السـلام بـأيّ ثمـن... فلـماذا هـذا التقاتـل؟!)[1]، في الأقـل مـن وجهـة نظـر سـطحيّة أوّليّـة لا تريـد الغـوص فـيما يـبطن الناس أو يظهرون.

ذلـك مـا جعـل الإمـام يراجـع قـرار مواصـلة القتـال، اسـتناداً إلى المعطيـات التـي تـدعو إلى اليـأس مـن المخـاطبين، الـذين مـا كـان لمعظمهـم نظـر كنظـر الإمـام، ولا رأي كرأيـه... وهـذا واضـح مـن صمتهم، ومن عدم استجابتهم لندائه والحوار فيما يريدون:

---

(١) عاصفة السلام ١٩٥ - ١٩٦.

"حتى ننظر وتنظروا
ونرى وتروا".

قال السيّد محمد باقر الصدر: (إنّ الإمام الحسن عليه السلام... لم يكن قد تسرّع للإعلان عن عزمه على الحرب والاشتباك المسلّح مع معاوية... الظروف النفسية بحاجة إلى علاج أكبر، ممّا بحاجة إلى الحرب... إعطاء فرصة جديدة لكي يدرسوا من جديد الأطروحة ونبلها وأهدافها وخيراتها وبركاتها قبل أن يكلفوا بقتال جديد ولهذا تمهل الإمام... [وقد] استغل معاوية [هذا الأمر] وأشاع أنّ الحسن يفكر في الصلح... وكان لهذه الإشاعة إسهام كبير جدًّا في توسيع نطاق الشكّ عند المسلمين وتردّدهم في أن تكون هذه القضية التي يحاربون من أجلها قضية يشك فيها القائد نفسه... الشك المرير المتنامي المتزايد في نفوس الجماهير في القائد، وفي الأطروحة، وفي الأهداف وفي الرسالة...."[1].

* *

(١) أئمّة أهل البيت٢٧٧.

الخطبة الرابعة: خطبة اليأس من مواصلة القتال

كـان لسـقوط أمـير المـؤمنين عليه السلام في محرابـه مضـرّجًا بدمائـه دلالـة عـلى بشـاعة الأجـواء التـي كانـت تحـيط بـه، فمصـيبة الاغتيـال قـد حصلت عـلى الـرغم مـن زهـده، وعدالتـه، وسـابقته، وسـعيه في خدمـة المجتمـع الإسـلاميّ، وكـان هـذا الاستشـهاد قـد رفـع مـن معنويّـات أعداء منهجه، وزاد في ضعف معسـكر مـن جـاء مـن بعـده، لهـذا سـنجد أنّ الإمـام الحسـن ينظـر إلى هـذا المجتمـع الـذي اغتـال أبـاه نظـرة ريبـة وحـذر، وزاد عليـه مـا واجهـه مـن فشـل التعبئـة العسـكريّة في الكوفـة، وممّـا كـان يجـده مـن تراجـع حمـاس جيشـه، وتأكّـد كـذلك مـن تهافـت مجتمعــه في رغبتــه في الســلام بــأيّ ثمــن كــان[1]؛ ومــن دون حســاب لنتائج هذا التهافت والتراجع والانهيار.

فكان الإمام الحسـن قـد ورث هـذا الضـعف، الـذي اشـتكاه أمـير المـؤمنين عليه السلام نفسـه مـن قبـلُ، في قولـه: (يـا أهـل الكوفـة: منيـت مـنكم **بـثلاث واثنتـين، صـمٌّ: ذوو أسـماع، وبكـم: ذوو كـلام، وعمـيٌ: ذوو**

---

(١) ينظر: عاصفة السلام ١٩٠.

أبصار، لا أحرارُ صِدقُ عند اللقاء، ولا إخوانُ ثِقةٍ عند البلاء)[1]؛ إذ ميّز بعبارة (ثلاث) مجموعة العبارات الأولى غير المسبوقة بنفي، والدالّة على عدم الاستفادة من الحواسّ الثلاث: (السمع والنطق والنظر) في استقبال ما يريده منهم، ولا يتداولون الهداية مثلما يريد، ولا يميّزون ببصرهم وبصيرتهم الحقّ من الباطل:

صمٌّ: ذوو أسماع

وبكم: ذوو كلام

وعميٌ: ذوو أبصار

ميّز هذه الثلاثة من عبارة (اثنتين) المسبوقة بـ (لا) الدالة على الضعف والهوان:

لا أحرارُ صِدق عند اللقاء

ولا إخوانُ ثِقةٍ عند البلاء

لذلك لم يقُل خمسة، وفرّق جمل الإثبات، من جمل النفي، مع أنّ الشكوى كانت من الاثنين معاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧/ ٤٩.

وفي أنساب الأشراف للبلاذري على لسان الإمام الحسن: (يا أهل العراق أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه!! وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه، فحسبي منكم لاتغروني في ديني ونفسي!!)[١].

قال الشهيد محمد باقر الصدر: (أصيب المجتمع الإسلامي إبّان إمامة الحسن ﷺ بمرض "الشك في القيادة" وهذا الداء ظهر في أواخر حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ؛ إذ واجه أيام خلافته عدة حروب ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من أبناء الأمة، فأخذ الناس يشكّون: أإنَّ المعارك التي تخاض معارك رسالية؟ أم إنّها معارك قبلية؟ أو شخصية؟... واستفحل (الداء) واشتد في حياة الإمام الحسن ﷺ، فلم يكن باستطاعته في مثل هذه الظروف والمجتمع المصاب بهذا الداء أن يخوض معركة مصيرية تنتهي بالنصر على خصمه المتربص به، فإذا أضفنا إلى هذا شخصية الخصم معاوية، الذي كان بإمكانه أن يبدو أمام الناس بمظهر الحاكم الملتزم بالدين، وكذلك تعدّد انتماءات المقاتلين مع الإمام

---

(١) ٣/ ٣٩.

الحسن عليه السلام، حتى أبدى بعضهم استعداده لمعاوية أن يسلّم له الإمام [الحسن] عليه السلام حياً، وطعنه بعضهم طعنة غادرة، إذا جمعنا هذا وغيره من الظروف عرفنا لماذا صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية)[1].

وكان الإمام الحسن قد عبّر عن خيبته وما صار إليه مجتمعه، وقد استحال عليه مواصلة نهج والده في الحرب، ولاسيّما ما وجده من خيانة أتباعه، في قوله: (... **هذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأنّ أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية، أما والله ما هذا بمنكر منكم، لأنّكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفّين على الحكمَين، فلمّا أمضى الحكومة وقَبِل منكم اختلفتم، ثمّ دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم، ثمّ صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إيّاه، ثمّ إنّكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذتُ بيعتكم وخرجت في وجهي هذا، والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إليّ ما كان؛ يا أهل العراق فحسبي منكم لا تغرّوني في ديني فإنّي مسلّم هذا الأمر إلى معاوية**)[2].

---

(١) أئمّة أهل البيت ٢٥٣، والانتصار، للعاملي ٨/ ١٢٨.

(٢) موسوعة عبد الله بن عباس ٤/ ٣٤٨.

وتتضح خيبته ممّا كان يعاني، فيما نَظَمَهُ من بيتين:

لئن ساءني دهرٌ عزمت تصبّراً وكلّ بلاء لا يدوم يسير
وإن سرّني لم أبتهج بسروره وكلّ سرور لا يدومُ حقير[1]

وكان أتباع الإمام الحسن يعرفون أنه لا يختلف عن أبيه، وأنّه يسير على الخطى نَفسِها، وكان قِسْم من الجيش الذي أعدّه والده قد تأثّر بالإشاعات والحرب النفسيّة ولاسيما الخوارج الذين سرعان ما كفّروا الإمام واعتدوا عليه؛ (قالوا: ولما بلغ معاويةُ قتلَ عليٍّ تجهز، وقدّمَ أمامَه عبد الله بن عامر بن كريز، فأخذ على عين التمر، ونزل الأنبار يريد المدائن، وبلغ ذلك الحسن بن علي، وهو بالكوفة، فسار نحو المدائن لمحاربة عبد الله بن عامر بن كريز، فلما انتهى إلى ساباط رأى من أصحابه فشلاً وتواكلاً عن الحرب، فنزل ساباط، وقام فيهم خطيباً، ثم قال: **"أيها الناس، إني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة، وإني ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأياً فلا تردّوا عليَّ رأيي، إنّ الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال، ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون"**، فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ / ١٩٧.

إلى بعض، فقال من كان معه ممّن يرى رأي الخوارج: "كفَرَ الحسن كما كفر أبوه من قبله"، فشدّ عليه نفر منهم، فانتزعوا مصلّاه من تحته، وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مطرفه عن عاتقه، فدعا بفرسه، فركبها، ونادى: "أين ربيعة وهمدان؟" فتبادروا إليه، ودفعوا عنه القوم؛ ثم ارتحل يريد المدائن، فكمن له رجل ممن يرى رأي الخوارج، يسمى الجراح بن قبيصة من بني أسد بمظلم ساباط، فلما حاذاه الحسن قام إليه بمغول، فطعنه في فَخِذِه)[1].

رؤية الإمام في هذا المقطع رؤية واقعيّة لما وجده من أتباعه، في حواره معهم:

وإني ناظر لكم كنظري لنفسي... يريد لن أترككم.

وأرى رأياً فلا تردّوا عليّ رأيي ... اختلفتم في قرار القتال فلا تختلفوا في غيره.

إنّ الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة... يذكر فائدة الجماعة.

وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال... هذه نتيجة النكول عن القتال.

---

(١) الأخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري ٢١٧.

ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون.... إذ إنّ قرار السلم والموادعة هو قراركم.

وقال اليعقوبي: (وجّه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أمّ الحكم، وأتوه وهو بالمدائن نازل مضاربه، ثمّ خرجوا من عنده، وهم يقولون ويُسمِعون الناس: إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة وأجاب إلى الصلح؛ فاضطرب العسكر ولم يشكّك الناس في صدقهم، فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن فرساً ومضى في مظلم ساباط، وقد كمن له الجرّاح بن سنان الأسديّ، فجرحه بمغول في فخذه، وقبض على لحية الجراح ثمّ لواها ودقّ عنقه، وحُمِل الحسن عليه السلام إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً، واشتدّت به العلّة فافترق عنه الناس؛ وقدم معاوية إلى العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة؛ فلمّا رأى الحسن أن لا قوّة به، وأنّ أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية...)[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢١٥، وموسوعة عبد الله بن عباس ٤/ ٣٥٤.

فـالجيش مفكّـك وغـير منضـبط، ومشـوّش مـتردّد ضـعيف النّصرة، وأفراده بـين خـاذل، وطالـب بثـأر؛ مـوزّع بـين ولاءات مختلفـة، لا وحـدة رأي بـين أفـراده؛ وقـد سَرَت بـين صـفوفه الفـتن والإشـاعات، وكـان للدعايـة والحـرب النفسـيّة التـي بثّهـا الطّـرف الآخـر أثرهـا المـدمّر فيـه؛ وكـذلك شراء الـذمم والانتقـال إلى جـيش العدوّ؛ حتـى يعتـدون عليـه، فيقـول: **"يـا أهـل العـراق: اتّقـوا الله فينـا، فإنّـا أمـراؤكم وضـيفانكم، أهـل البيـت الـذين قـال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** (الأحزاب:٣٣)"(١).

(اتّقوا الله فينا): استفاده من نصوص القرآن الكريم:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٠٦)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٢٤)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٤٢)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٦١)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الصافات: ١٧٧)

---

(١) مجمع الزوائد، للهيثمي، ٩/ ١٧٢، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٣/ ٣٦٨.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الصافات: ١٢٣ – ١٢٤)

و(اتّقوا) في الخطبة: فعل أمر أسند إلى المخاطبين.

الله: المطلوب تقواه.

فينا: جار ومجرور متعلّق بالفعل، والموضّحة بها بعدها بالضمائر.

فإنّا: الفاء للاستئناف وإنّ للتوكيد واسمها "نا".

أمراؤكم: خبر "إنّ"، وضيفانكم: اسم معطوف على الخبر.

أهلُ البيت: بدل من الخبر مضاف ومضاف إليه، وقد قدّم "أمراؤكم، وضيفانكم، على "أهل البيت" إذ هو المقصود عند النحويين، وعبارة المبرد، البدل: "يحلُّ محلّ المبدل منه"(١)؛ ثمّ بيّن مقام البدل: أعني مقام تطهيرهم من القرآن الكريم، **أهل البيت الذين قال الله عنهم**: **﴿إِنَّما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** (الأحزاب: ٣٣).

الذين: بدل ثانٍ.

قال: فعل ماضٍ.

---

(١) المقتضب ٤/ ٢١١.

الله: فاعـل ﴿إِنَّـما يُرِيـدُ الله لِيُـذْهِبَ عَـنْكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْـتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

لـذلك صـار تفكـير الإمـام يـدور بمـدار الخـروج مـن المـأزق، الـذي كـان يواجهـه، بعـد مـا تأكّـد مـن انعـدام إمكـان الانتصـار، في القتال إذ (لم تتوافر لـه مقوّمـات الحـدّ الأدنـى مـن القـوّة والمقـدرة، التـي تكفـي لإنجـاح مهمتـه وفـق المقـاييس المعقولـة، ولا يشـترط في هـذه القـوّة أن تكـون أكـبر مـن قـوّة العـدوّ المادّيّـة، بـل يكفـي أن تكـون متـوافرة عـلى شروط القـوّة المعنويّـة... [ففـي] خطـاب لـه عليه السلام: **"أمـا والله ما ثنانا عن قتـال أهـل الشـام شـك ولا نـدم، وإنّـما كنـا نقاتـل أهـل الشـام بالسـلامة والصـبر، فشـيبت السـلامة بالعـداوة، والصـبر بـالجزع، وكنـتم في مبتـدئكم إلى صـفين، وديـنكم أمـام دنيـاكم وقـد أصـبحتم ودنيـاكم أمـام ديـنكم، وكنـا لكـم وكنـتم لنـا، فصـرتم الآن كـأنكم علينـا ثـم أصـبحتم بعـد ذلـك تعـدّون قتيلـين: قتـيلاً بصـفين تبكـون عليـه، وقتـيلا بـالنهروان تطلبـون بثـأره، فأمـا البـاكي فخـاذل، وأمـا الطالـب فثـائر، وإنّ معاويـة قـد دعـا إلى أمـر لـيس فيـه عـزّ ولا نصـفة، فـإن أردتـم المـوت رددنـاه إليـه، وحكّمنـاه إلى الله، وإن أردتـم الحيـاة قبلناه، وأخذنا بالرضا؛ فناداه القوم: البقية البقية)**[1].

---

(١) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر للحلواني ٧٧.

وإنّ معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عزّ، ولا نصفة، فإن أردتم الحياة قبلناه منه وأغضضنا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله، وحاكمناه إلى الله... فنادى القوم بأجمعهم بل التقيّة والحياة: وضع الخيار بيدهم، وهذا أيضاً من منهجه الذي يأخذ برأي مخاطبيه ويستفتيهم في الأمر.

فنخلص ممّا تقدّم إلى أنّ جيش الإمام منهكٌ من حروب طاحنة سبقت تولّيه الخلافة، فمن الجمل إلى صفّين إلى النهروان؛ فضلاً عن الإنهاك فإنّ هذا الجيش كان مؤلفًا من قلّة من المخلصين؛ ومن الخوارج الذين يريدون محاربة معاوية والإمام معاً، ومن أصحاب فتن ومطامع يريدون مغانم دنيا، ومن أهل شك وريبة لم يستقرّوا على رأي، ومن أهل عصبيّة قبليّة يتبعون رؤساءهم من دون أن يكون لهم رأي أو دين.

يقول كمال السيد: (شَعَرَ الإمام الحسن بالخطر على الكوفة من عمليّة اجتياح يقوم بها معاوية في هذه الظروف العاصفة... وإنّ إصرار بعض مئات على مواجهة معاوية حتى النفس الأخير يعني تدفّق عشرات الألوف من جنود الشام... وكان على الحسن أن يفكّر في عواقب الأمور... [التي كانت] نذراً لا تُبشّر إلاّ بوقوع مجزرة كبرى، يعقبها شرخ هائل في نسيج الأمّة، وقد تُسفر الأحداث عن ردّة عنيفة عن الإسلام الحنيف وعودة الناس إلى

عصـور الجاهليّـة المظلمـة... فـإذا كانـت الكوفـة ترغـب بالسـلام بـأيّ ثمن... فلماذا هذا التقاتل، من أجل حكم دنيويّ وسلطان زائل)[1].

وقـال الجـاحظ: (اعتـزالُ الحسـن رض الحـرب، وتخليـة الأمـور عند انتشـار أصـحابه، ومـا رأى مـن الخلـل في عسـكره، ومـا عـرف مـن اخـتلافهم عـلى أبيـه وكثـرة تلـوّنهم عليـه؛ فعنـدها اسـتبد معاويـة عـلى الملك، واستبد عـلى بقيـة الشـورى وعـلى جماعـة المسـلمين مـن الأنصـار والمهـاجرين في العـام الّـذي سـمّوه – عـام الجماعـة – ومـا كـان عـام جماعة، بل كـان عـام فُرقـة وقهـر وجبريّـة وغلبـة، والعـام الّـذي تحوّلـت فيه الإمامـة ملكـاً كسـروياً، والخلافـة منصـباً قيصـرياً، أوَ لم يعـدّ ذلـك أجمـع الضـلال والفسـق، ثـم مـا زالـت معاصـيه مـن جـنس مـا حكينـا، وعلى منازل مـا رتّبنـا، حتـى رد قضـية رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم رداً مكشوفا، وجحـد حكمـه جحـداً ظـاهراً في ولـد الفـراش ومـا يجـب للعاهر، مع إجماع الأمـة عـلى أن سُـميّة لم تكـن لأبي سـفيان فراشـاً، وأنـه إنـما كـان بهـا عـاهراً فخـرج بـذلك مـن حكـم الفجـار إلى حكـم الكفار)[2].

---

(١) عاصفة السلام ١٩٥ – ١٩٦.

(٢) رسائل الجاحظ، الرسالة١١، ص٢٩٢، وموسوعة عبد الله بن عباس ٥/ ١١ـ ١٢.

ورُوي عن الإمام: (إننّا والله ما ثنانا عن أهل الشام شكّ ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مبتدئكم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، فقد أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا! إنا كنا لكم كما كنتم لنا، ألا! وقد أصبحتم بعد قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر، ألا! وإنّ معاوية قد دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نِصفة فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جل وعز بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا، فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية)[1].

وفي مختصر تاريخ دمشق "إنّا والله ماثنانا عن قتال أهل الشام شكّ ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مبتدئكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنّا

(١) المجتنى، لابن دريد الأزدي ٢٣،والتذكرة الحمدونيّة ٦/ ٢٤٧، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٣/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء٣/ ٢٧٩، والروائع المختارة ٨٤.

لكم كما كنّا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفّين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره؛ فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله جلّ وعزّ بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا؛ فناداه القوم التقية التقية)[1].

(وهذه هي خطبته الوحيدة التي تَعرِضُ إلى تقسيم عناصر الجيش من ناحية نزعاته وأهوائه في الحرب؛ فيشير بالباكي إلى الكثرة من أصحابه وخاصته، وبالطالب للثأر [منه] إلى الخوارج الموجودين في معسكره ويشير بالخاذل إلى العناصر الأخرى من أصحاب الفتن واتباع المطامع وعبدة الأهواء... بما صبغوا به ميدان الجهاد المقدس من أساليب الغدر، والخلاف، ونقض العهود، والمؤامرات، ونسيان الدين، وخفر الذمام... وما يدور في خَلَدِ كثير من الناس حين يدرسون هذا العرض المؤسف لعناصر جيش الحسن عليه السلام، فيسألون: لماذا فسح الحسن المجال لهذه العناصر؟ ولماذا تأخر بعد ذلك عن تصفية جيشه بسبيل من هذه السبل التي يفزع

---

(١) ٧/ ٣٥ - ٣٦.

إليهـا رؤسـاء الجيـوش في تصـفية جيوشـهم بقطـع العضـو الفاسـد، أو بإدانته، أو بإقصائه على الأقل؟)[1].

ويُلحـظ أنّ الفـرق في نقـل الخطبـة وروايتهـا لفظـيّ يسـير، مـن مثل:

أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام

إننا والله ما ثنانا عن أهل الشام

إنّا والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام

ومثـل: كنـا لكـم وكنـتم لنـا، فصـرتم الآن كـأنّكم علينـا ثـم أصبحتم بعد ذلك تعدون قتيلين.

ألا! إنّا كنا لكم كما كنتم لنا، ألا! وقد أصبحتم بعد قتيلين.

ألا وإنّا لكم كما كنا، ولستم لنـا كـما كنـتم، ألا وقـد أصـبحتم بـين قتيلين.

ومثل: فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فثائر

وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر

ومثل: وإنّ معاوية قد دعـا إلى أمـر لـيس فيـه عـزّ ولا نصـفة، فـان أردتم الموت رددناه إليه، وحكمناه إلى الله..

---

(١) صلح الحسن عليه السلام ١/ ١٣٣.

ألا! وإن معاوية قد دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جل وعز بظبا السيوف..

ومثل: فناداه القوم من كل جانب:

البقية البقيّة

فناداه القوم:

التقية التقيّة

ومثل: إنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر..

فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع..

مراجعة نصّ الخطبة

شِيبَت: من شاب الشيء شَوباً: خلطه، وشِيبَ فعل بُنِي للمجهول[1].

كنتم تتوجهون معنا: خبر "كان" جملة فعليّة فعلها مضارع للاستمرار في الماضي.

ودينكم أمام دنياكم: الواو عاطفة والجملة اسمية معطوفة على ما قبلها، دالّة على ثبات الإيمان بتقدم الدين أمام الدنيا.

---

(١) تاج العروس ٣/ ١٦٠.

وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم: أصبحتم: بمعنى صرتم وقد تقدّمت دنياكم على دينكم، دلالة على التحوّل والتراجع والنكوص.

وكنّا لكم وكنتم لنا: كنتم مخلصين لنا.

وقد صرتم اليوم علينا: تحوّلتم إلى أعدائنا.

ثمّ أصبحتم تصدّون قتيلين: أي تقصدون وتنشغلون وتذكرون وتتعرّضون[1] وتضجّون وتعجّون، وتمنعون وتصرفون، قال تعالى: ﴿**فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾ (النمل: ٢٤)، (والعنكبوت:٣٨)، وقال تعالى: ﴿**أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى**﴾ (عبس: ٥ – ٦) معناه: تتعرّض وتميل وتقبل[2]. وفي رواية تعدّون قتيلين وهو الأقرب.

فأمّا الباكي فخاذل: أي متراجع ومنسحب ونادم على ما كان قد قدّم.

كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مبتدئكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنّا لكم كما كنّا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين...

---

(١) ترتيب جمهرة اللغة ٢/ ٣٤٥.

(٢) تاج العروس ٨/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، ٢٧٠.

التضادّ:

السلامة والصبر × السلامة بالعداوة

الصبر × الجزع

ودينكم أمام دنياكم × ودنياكم أمام دينكم

إنّا لكم كما كنّا × لستم لنا كما كنتم

فالتغيّر الكبير واضح في مواقف المخاطبين:

المعبّر عنه بـ كنّا × كنتم وأصبحتم

الدين قبل الدنيا × الدنيا قبل الدين

تكرار: (كنتم وكنّا): أربع مرّات...

و(أصبحتم) التي بمعنى صرتم: مرتين

التوازي و**التقابل بين**: السلامة والعداوة والصبر والجزع

دينكم أمام دنياكم × دنياكم أمام دينكم

ثبتنا: إنّا لكم كما كنّا × لكنكم: لستم لنا كما كنتم

أصبحتم: تعدّون قتيلين: قتيلا بصفين تبكون عليه

وقتيلًا بالنهروان تطلبون ثأره

فأما الباكي فخاذل

وأما الطالب فثائر

وكان هذا التغيّر هو السبب المهم في التوجّه نحو الصلح وتسليم الأمر؛ تقول الدكتورة رباب صالح: (إنّ الإمام هنا أراد أن يبيّن دلالة موضوعيّة، وبيان مواقف القوم المتذبذبة، فساعده هذا الأسلوب على إبراز الفكرة، وتكثيفها، مع أسلوب بلاغي إيقاعيّ محقّقًا توازياً على صعيد النصّ)[1].

(والله لئن آخذ من معاوية عهدًا أحقن به دمي، وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني، فيضيّعوا أهل بيتي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتّى يدفعوني إليه سلماً، فو الله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ويمنّ عليّ، فيكون سُبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منّا والميّت)[2].

فبعدما تقدّم:

أيمكن للإمام أن يقاتل بمثل هذا الجيش الخائر؟

وهل يدخل في قضيّة خاسرة واضحة الخسران؟

ومن ثَمَّ: فهل في المقاومة جدوى؟

---

(١) خطب الإمام الحسن ٣٤.

(٢) الخصائص الفاطميّة ٢/ ٥٧٥.

يقول السيّد عبد الحسين شرف الدين: (إن المقاومة في دور الحسن تؤدّي لا محالة إلى فناء هذا الصف المدافع عن الدين وأهله... إذ لو غامر الحسن يومئذ بنفسه وبالهاشميين وأوليائهم، فواجه بهم القوة التي لا قبل لهم بها مصمّماً على التضحية، تصميم أخيه يوم "الطف" لانكشفت المعركة عن قتلهم جميعاً، ولانتصرت "الأموية" بذلك نصراً تعجز عنه إمكانياتها، ولا تنحسر عن مثله أحلامها وأمنياتها، إذ يخلو لها الميدان... ولو اعتذر الحسن يومئذ بأن معاوية لا يفي بشرط، ولا هو بمأمون على الدين ولا على الأمة، لما قبل العامة يومئذ عذره، إذ كانت مغرورة بمعاوية.... ولم تكن الأموية يومئذ سافرة بعيوبها سفوراً بيّناً بما يؤيد الحسن أو يخذل معاوية... لكن انكشف الغطاء، في دور سيد الشهداء... ومن هنا رأى الحسن عليه السلام أن يترك معاوية... إذ التبس فيه الحق بالباطل، وتسنى للطغيان فيه سيطرة مسلحة ضارية...)[1].

لكن لو غامر الحسن – على رأي الشيخ آل ياسين – في ذلك المقطع من الزمان لانكشفت المعركة عن قتلهم جميعاً، قبل أن ينكشف مشروع معاوية، في انحرافه ومخالفته وتسلّطه الذي امتد

---

(١) نفسه ١٠ – ١١.

نحو عقدين من الزمن، وآخرها تسليمه الأمر لابنه يزيد، ولانتصرت الأمويّة وخلا الميدان لهم[١].

وقال السيد محمد باقر الصدر: (كان لا بُدّ للإمام الحسن ﷺ، ولا بُدّ للخط الصحيح أن ينحسر مؤقّتاً، ويهادن مؤقّتاً، وسيتولّى معاوية بن أبي سفيان على كلّ العالم الإسلاميّ لكي ينكشف مضمون أطروحة معاوية، ولكي يعرف هؤلاء المسلمون البسطاء الذين لم يكونوا يعرفون إلاّ ما يرونه بأعينهم، من كان عليّ؟ ومن كان معاوية؟ وماذا كانت أطروحة عليّ؟ وما أطروحة معاوية؟... إنّ تلك التجربة القصيرة التي زاولها [الإمام] في الحكم بقيت حُلماً في نظر الجماهير الإسلاميّة... وهكذا رأينا كثيراً من المسلمين يتصلون بالإمام الحسن ﷺ لكي ينقض الهدنة، لأنّ معاوية أخلّ بالشروط... الشك في القائد... شكاً مصطنعاً... مستوحى من إرهاق)[٢].

---

(١) صلح الحسن ﷺ تصدير عبد الحسين شرف الدين ص٩.

(٢) أئمّة أهل البيت ٢٥٩.

ويقول السيد البدري: (إنّ مهمة الحسن الأساسيّة هي: كيف يوصل مشروع أبيه إلى النصف الثاني من الأمّة؟... في ضوء إعلام معاوية... كيف يفتح قلوب أهل الشام؟)[١].

لذلك قيل إنّ الإمام الحسن جمع الناس، وحَمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: (**أمّا بعدُ فوالله إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومَنّه، وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلمٍ ضغينة، ولا مُريدًا له بسوء ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم ممّا تحبّون في الفرقة؛ ألا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليَّ، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه المحبّة والرضا**)[٢].

وبعد أن كُتِب كتاب الصلح أظهر بعض أهل الكوفة اللوم والاعتراض، ولاسيما الخوارج وممّن لم يثبتوا على رأي، فقام الإمام الحسن خطيباً في الناس لردّهم وإتمام الحجة عليهم قائلاً: (**خالفتم أبي حتّى حكّم وهو كاره، ثمّ دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد**

---

(١) صلح الإمام الحسن ٥٠.

(٢) الإرشاد ١٨٩.

التحكيم فأبيتم، حتّى صار إلى كرامة الله، ثم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني، وقد أتاني أنّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه، فحسبي منكم لا تغرّوني من ديني ونفسي)[١]؛ "ثم دفع الكتاب إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب وأمّه هند بنت أبي سفيان، وأضاف على الكتاب شروطاً أخرى منها ترك سبّ الإمام عليّ عليه السلام في القنوت والترحم عليه...)[٢].

فالإمام الحسن يعاتب المخاطبين ويلومهم ويحمّلهم مسؤوليّة ما حصل:

خالفتم أبي حتّى حكّم وهو كاره

دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتم

بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني

أهل الشرف منكم بايعوا معاوية

فحسبي منكم لا تغرّوني من ديني ونفسي

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٢، الخصائص الفاطميّة ٢/ ٥٧٩.

(٢) م. س.

ولو فتشنا عمّا ينصر الإمام ويخفّفُ من آثار ما كان، ويكشف "القَدَر" الذي سيكون، لوجدنا تفسيراً قرآنياً، جاء به النحاس (٣٣٨هـ) وغيره من المفسرين، لقوله تعالى ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ (القدر: ٣)، (إذ رُوي عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، أنّه قال: هي ألف شهر وَلِيَت فيها بنو أميّة، قال: وكان النبيّ صلى الله عليه وآله قد أُرِيَهم على المنابر فهاله ذلك فأُحصيت ولايتهم بعد ذلك فكانت كذلك)[١].

وذكر أبو حيّان الأندلسيّ: (عوتب الحسن بن عليّ على تسليمه الأمر لمعاوية، فقال: إنّ الله تعالى أرى في المنام نبيّه صلى الله عليه وآله بني أُميّة ينزون على منبره نزو القردة فاهتمّ لذلك فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وهي خير من مدّة ملوك بني أميّة، وأعلمه أنّهم يملكون هذا القدر من الزمان، قال القاسم بن الفضل الجذامي فعددنا ذلك فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً، وخرّج قريباً من معناه الترمذي، وقال حديث غريب انتهى)[٢].

---

(١) إعراب القرآن ٥/ ٢٦٧.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٩٦.

وفي المستدرك (قام رجل إلى الحسن بن علي فقال يا مسوّد وجوه المؤمنين فقال الحسن لا تؤنّبني رحمك الله فإنّ رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك فنزلت: إنّا أعطيناك الكوثر، نهر في الجنة ونزلت: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾، تملكها بنو أمية فحسبنا ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص، هذا إسناد صحيح، وهذا القائل للحسن بن عليّ هذا القول هو سفيان بن الليل صاحب أبيه (حدثناه) أبو بكر بن محمد الصيرفي بمرو ثنا عبد الصمد بن الفضل ثنا مكي بن إبراهيم ثنا السرى بن إسماعيل البجلي عن الشعبي عن سفيان بن الليل الهمداني قال أتيت الحسن بن علي حين بايع معاوية فقلت يا مسوّد وجوه المؤمنين ثم ذكره بنحوه)[1].

ويجد السيّد البدري أنّ الإمام الحسن حين يئس من إمكان الانتصار، بادر إلى التفكير في أطروحة جديدة منطلقها **الموادعة وتسويغ الصلح**: يُعالج بحسبها الانشقاق، وما ينطوي على الانشقاق من مخاطر فكريّة وسياسيّة؛ ويحفظ فيها لأهل العراق

---

(١) ٣/ ١٧١، وتاريخ مدينة دمشق ٥٧/ ٣٤٠.

والشـام اختيـاراتهم وبيعـتهم، ويسـمح بـاختلاطهم وتفاعـل أفكـارهم، وهـذا مـا يمكـن أن يتـيح التعريـف بمشـروعه الـذي هـو مشـروع والـده، وتجـاوز مرحلـة التأليـب والتحشـيد، ويفـرض عـلى الطـرف الآخر احـترام هـذا المشـروع، في أجـواء مـن الأمـان والوئـام، ويُحـاصر فيـه الفكـر التكفـيريّ، ويلاحـق بحسـبه حلقـات الاغتيـال التـي نشـأت عنه، وتدفع التهديد الخـارجي الـذي يلـوّح بـه الـروم، وهـذا مـا كـان في نصـوص الصـلح بـين الطـرفين، وهـذه هـي أطروحـة الإمـام الهـادي الـذي تهمّـه قضـيّة الهدايـة والرسـالة ومصـلحة الأمّـة العامّـة، وكـان النبيّ صلى الله عليه وآله قد أعدّه لهـذه المهمّـة الإلهيّـة (الحسـن والحسـين إمامـان قامـا أو قعدا)[1].

وكانـت للإمـام الحسـن في هـذه الخطبـة قـراءة مسـتقبليّة تحليليـة مفادهـا انكشـاف خصـمه وافتضـاحه أمـام العـراقيين والشـاميين لعـدم وفائـه بـما اتّفـق عليـه في وثيقـة الصـلح، وبـذا يحـافظ عـلى أرواح المسلمين من الطرفين[2].

---

(١) صلح الإمام الحسن (بتصرف) ٥٢ - ٥٣.

(٢) صلح الحسن عليه السلام مقدمة السيد عبد الحسين شرف الدين ١٩.

فالإمام الحسن بن عليّ عليه السلام هو الصابر الحكيم المحتسب، الذي أنضج النتائج ومهّد الأسباب للثاني الثائر الحسين فقد عبّر الإمامان عن وجهين لقضيّة واحدة، كشفا بهذا عن القناع الأموي المظلم[١].

* *

(١) ينظر: صلح الحسن عليه السلام ١٣٩.

الخطبة الخامسة: خطبة الموادعة وتسويغ الصلح

لّما رأى الإمام الحسن افتراق أصحابه، وضعف معنويّات عسكره، وانتقال بعض كبار قادته إلى صفِّ غريمه، اضطُرّ إلى إعادة التفكير فيما تبقّى من جيشه، وقد وجد بين يديه فرصة عرض معاوية وثيقة مفتوحة ليشترط فيها الحسن ما يريد، ويفسح المجال أمام التفكير والتلاقي والحوار، وإبعاد شبح الصراع العسكريّ، ولو مؤقّتاً، وبهذه الوثيقة إذا ما أبرمت حماية مجتمعه، أمّا إذا أُخِلّ بالشروط فسيُظهِر مدّعيات خصمه، ويكشف زيفه، بعد أن يَعِيَ الناس كل الناس الحقائق كما هي.

ويرى السيّد البدري أنّ صلح الإمام الحسن، كان لمعالجة الانشقاق، فهو نظير صلح النبي ﷺ، الذي كان لفضح قريش المشركة، التي شوّهت الحركة الرسالية بين القبائل بإعلامها الكاذب، الذي أثّر في نشر الدعوة ومنع من اتساعها[1]؛ فهذا الرأي من ضمن تسويغ الصلح، استناداً إلى معطيات واقعيّة، وحجج دينيّة، وآفاق مستقبليّة؛ ذلك بعد أنْ رأى الإمام أنّ أصحابه ليسوا

---

(١) صلح الإمام الحسن (بتصرف) ١٩.

على رأي واحد، وبين يديه فرصة موافقة معاوية على شروطه التي أدرجها في الوثيقة المفتوحة، وفيها فرصة يمكن أن تعزّز وحدة المسلمين، وتكشف الزيف، وقد ترصّ صفوف المسلمين من جديد، استناداً إلى الالتزام بها، ومن ثمّ فسح المجال أمام النشاط الإسلامي العقدي والسياسي، بعد الصلح وتأجيل المواجهة والصدام؛ وفي الوقت نفسه اختبار مدّعيات خصمه، إن لم يفِ بهذه الشروط.

لأنّ أهلَ الشام كانوا قد حُجِزوا عن التأثّر بمشروع عليّ عليه السلام الإحيائي للسنّة، ومُنِعوا من الاطلاع على سيرته الصحيحة في أجواء الحرب والتحشيد الإعلامي لها، فلا يعرفون مناقبه ولا موقعه الصحيح في الإسلام، ولا أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله فيه وفي آل بيته، بل لُقّنوا ما يُسيء إليه، وادَّعَوا أنّ دم عثمان في رقبته، لا في رقبة الذين ألّبوا عليه، وأنّه بريء ممّا نُسِب إليه، لذلك كان أهل الشام قبل الصلح يلعنونه ويستحلّون قتله وقتاله، أمّا ما بعد الصلح فقد تغيّرت رؤيتهم أو رؤية بعضهم له ولمشروعه، وهذا ما كان الإمام الحسن يأمله ويتوقّعه، ولاسيّما بعد وفود العراقيّين إلى الشام والشاميين إلى العراق، أو أجواء مكة والمدينة في أثناء المواسم،

لذلك حاول الإعلام الأموي تدارك ذلك، وتأسيس ما يمنع منه ومن اتّساع أثره[١].

و(لا خلاف بين العلماء أنّ الحسن إنّما سلّم الخلافة لمعاوية... ثمّ تكون له بعده، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك الوقت، ورأى الحسن ذلك خيرًا من إراقة الدماء في طلبها، وإن كان عند نفسه أحقّ بها... دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن بن علي فيخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: لا حاجة لنا بذلك، فقال عمرو: "ولكني أريد ذلك ليبدو عِيّه، فإنّه لا يدري هذه الأمور ما هي؟ "ولم يزل بمعاوية حتى أمر الحسن ﵇ أن يخطب، وقال له: يا حسن قم فكلّم الناس فيما جرى بيننا، فقام الحسن ﵇ فتشهد وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال في بديهته: **"أمّا بعد - أيها الناس - فإنّ الله هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول، وإنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** (الأنبياء: ١٠٩ - ١١١)، فلما قالها، قال له معاوية: اجلس،

---

(١) صلح الإمام الحسن (بتصرف) ٧٠ - ٧١.

ثم قام معاوية فخطب الناس، ثمّ قال لعمرو: هذه من رأيك؛ ومن رواية عن الشعبي أنّ الحسن خطب فقال: "الحمد لله الذي هدى بنا أوّلكم، وحقن بنا دماء آخركم، ألا إنّ أكيس الكيس التقى، وأعجز العجز الفجور، وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إمّا أن يكون أحقُّ به منّي، وإمّا أن يكون حقّي فتركته لله تعالى وإصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم"، ثمّ التفت إلى معاوية فقال: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (الأنبياء: ١١١) ثم نزل)(١)، فقال معاوية لعمرو: ما أردت إلاّ هذا، وحقدها معاوية على عمرو)(٢).

وفي المحاسن والمساوي: (ذكروا أنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية ذات يوم: ابعث إلى الحسن بن عليّ، فمُره أن يخطب على المنبر: فلعلّه يَحصَرُ [يعيا في الكلام]، فيكون ذلك ممّا نُعيّرهُ به، فبعث إليه معاوية، فأصعده المنبر وقد جمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه... [الخطبة] ولم يزل حتى أظلمت الدنيا على معاوية... فقال

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري٢٠/ ٢٢٢، وينظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٢/ ١٤.

(٢) نفسه، وتاريخ الطبري ٥/ ١٦٣، البداية والنهاية ٧/ ١٨.

معاوية لعمرو: والله ما أردت إلاّ هتكي، وما كان أهل الشام يرون أنّ أحداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا)[(١)].

وورد أيضاً: (**أيّها الناس إنّ الله عزّ وجلّ قد هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول، وأنّ الله تعالى قال لنبيّه ﷺ، ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** (الأنبياء: ١٠٩ - ١١١)[(٢)].

وقيل إنّ معاوية أمر أن يجتمع الناس بعد نزوله الكوفة وكان يوم جمعة، فصعد المنبر، فقال: "ما اختلف أمر أمّة بعد نبيّها إلاّ وظهر أهل باطلها على أهل حقّها، فلمّا قال هذه المقالة ندم فاستثنى وقال: إلاّ هذه الأمة... وهكذا أراد الله أن ينتشر ويذيع هذا الكلام... إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك، إنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد

(١) ٧٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ١٣/ ٢٧٧، موسوعة عبد الله بن عباس ٤/ ٣٤٨.

أعطـاني الله ذلـك وأنـتم كـارهون، ألا وأنّي كنـت منّيـت الحسـن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها"[١].

وقيـل أيضـاً: "لمـّا ورد معاويـة الكوفـة، واجتمـع عليـه النـاس، قال له عمرو بـن العـاص وغـيره: إنّ الحسـن مرتفـع في الأنفـس لقرابتـه من رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، وإنـه حـديث السـن عَيّـي، فمُـره فليخطب، فإنه سـيعيا، فيسـقط مـن أنفـس النـاس، فـأبى فلـم يزالـوا بـه حتى أمـره، فقـام عـلى المنـبر دون معاويـة: فحمـد الله، وأثنـى عليـه، ثـم قـال: لـو ابتغيـتم بـين جـابلق وجـابرس رجـلاً جـدّه نبـي غـيري وغـير أخي لم تجـدوه، وإنّـا قـد أعطينـا معاويـة بيعتنـا، ورأينـا أن حقـن الـدماء خـير ﴿**وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّـهُ فِتْنَـةٌ لَكُـمْ وَمَتـاعٌ إِلى حِـينٍ**﴾، وأشـار بيـده إلى معاوية؛ فغضب معاويـة، فخطـب بعـده خطبـة عَيِّـة فاحشـة، ثـم نـزل؛ وقال: مـا أردت بقولـك: فتنـة لكـم ومتـاع؟ قـال: أردت بهـا مـا أراد الله بها[٢].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهراشوب٣/ ١٩٧، والخصائص الفاطميّة ٢/ ٥٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٧٢، وذكرها ابن كثير في البداية ٨ / ٤٢.

(وعن سفيان الثوري بإسناده عن الشعبي أنه قال: لمّا كان الصلح بين الحسن بن علي عليه السلام وبين معاوية، أراد الحسن عليه السلام الخروج إلى المدينة؛ فقال له معاوية: ما أنت بالذي تذهب حتى تخطب الناس وتخبرهم بأنّ الأمر صار لي؛ قال الشعبي: فسمعت الحسن عليه السلام يقول على المنبر بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد وآله: **"أمّا بعدُ فإنّ أكيسَ الكَيْسِ التُّقى، وإنّ أعجز العجز الفجور؛ ألا وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إمّا حقٌّ امرئٍ كان أحقُّ به منّي، أو حقّ لي فتركته له؛ وإنّما فعلت ذلك لحقن دمائكم، وتحصين أموالكم، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)**[1].

وعن ابن أعثم: (أيّها الناس: إنّ أكيس الكيس التقى وإنّ أحمق الحمق الفجور، **إنّكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابلس رجلاً جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين**، وقد علمتم أنّ الله تعالى هداكم بجدّي محمد وأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم من الجهالة، وأعزّكم به من الذلّة، وكثّركم بعد القلّة، وأنّ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٣/ ٢٧٤، وشرح الأخبار، للقاضي النعمان المغربي ٣/ ١٠٥.

معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه، فنظرت صلاح الأمة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت...)[١].

وقيل إنّه صعد الإمام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: **(أيّها الناس إنّ الله عزّ وجلّ قد هداكم بأوّلنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول، وأنّ الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وآله، ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** (الأنبياء: ١٠٩-١١١) فلمّا قالها قال له معاوية اجلس"[٢].

ويورد ابن عساكر أربع روايات لنصوص خطبة الصلح:

الأولى: "إنّ أكيس الكيس التقى وإنّ أحمق الحمق الفجور، وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون حق امرئ كان أحق به مني أو كان حقًّا لي تركته التماسًا لصلاح أمر هذه الأمة "، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين"[٣].

---

(١) الفتوح ٢/ ١٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٣/ ٢٧٧، موسوعة عبد الله بن عباس ٤/ ٣٤٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٩١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٣/ ٣٧٤.

الثانيـة: "أكـيس الكـيس التقـى وإن أعجـز العجـز الفجـور، ألا وإن هـذا الأمـر الـذي اختلفـت فيـه أنـا ومعاويـة إمـا حـقّ امـرئ كـان أحقّ بـه منـي أو حـقّ لي تركتـه لمعاويـة إرادة لإصـلاح المسـلمين وحقـن دمائهم "، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين"[١].

الثالثـة: أن الله هـدى أولكـم بأولنـا وحقـن دمـاءكم بآخرنـا، وقـد كانـت لكـم لي في رقـابكم بيعـة تحـاربون مـن حاربـت وتسـالمون مـن سـالمت، وقـد سـالمت معاويـة ﴿**وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّـهُ فِتْنَـةٌ لَكُـمْ وَمَتَـاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ وأشار إلى معاوية بيده[٢].

الرابعـة: "إني كنـت أكـره النـاس لأول هـذا الحـديث، وأنـا أصلحت آخره لذي حق أديـت إليـه حقـه أحـق بـه منـي أو حـق حـدث بـه لصـلاح أمـة محمـد وإن الله قـد ولاك يـا معاويـة هـذا الحـديث لخـير يعلمـه عنـدك أو لشـر يعلمـه فيـك "وان أدري لعلـه فتنـة لكـم ومتـاع إلى حين"[٣].

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ١٣/ ٢٧٥.

تتقارب الروايات الثلاث الأُول، أمّا الرابعة ففيها غرابة وبعد عن الثلاثة:

فقد جيء في الرابعة بـ "إني كنت أكره الناس لأوّل هذا الحديث"

فما الحديث؟ لا ندري... ربما أُبدِلَ (الأمر) بـ (الحديث) من الرواية الأولى والثانية.

أو أُبدِلَ (أولكم بأولنا) بـ (أوّل هذا الحديث) من الرواية الثالثة.

فالرواية الرابعة في كلّ الأحوال مرتبكة ويبدو أنّها مصنوعة.

لأنّها: تتحدّث عن (كراهة) لا وجود لها في غيرها: (**إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره**).

لكن نسأل: ما الكراهة؟ لم يُصَرّح بها في النصّ، ربّما كان هذا الغموض مقصوداً.

أمّا الرواية الثالثة: فواضحة تتحدّث عن الهداية بالنبوّة وحقن دماء المسلمين بسبط النبوّة:

(**هدى أولكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا**)، وهي تطابق المقام والإمام صاحب هذا المقام.

وأمّا الأولى والثانية: فتتحدّث عن أمر واختلاف بين منهجين وشخصين: (**ألا وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية**)، وهو المدار المباشر للخطبة.

ويجد المنصف أنّ التغيير في النصّ الرابع خالف الثلاثة، وحاول مدّعيه الإفادة منها، لكنّه ظلّ بعيداً عنها في اللفظ والتركيب والدلالة، ومخالفته ربما تكون مقصودة لتناسب الفرضيّة التي تريد أن تمايز بين الإمام الحسن ووالده عليهما السلام، وربما أراد بهذا التمايز - بطريقة غير مباشرة - رفع مقام معاوية على حساب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، استناداً إلى هذا التغيير.

وفي نصّ ابن منظور: (**أمّا بعد فإنّ أكيس الكيس التقى، وإنّ أعجز العجز الفجور، ألا وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حقٌّ امرئ كان أحقّ به منّي، أو حقّ لي تركته لمعاوية إرادة إصلاح المسلمين وحقن دمائهم "وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين"** ثم استغفر ونزل)[1].

المضامين المرويّة لنصّ الإمام بحسب ما تقدم:

هدى أولكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٦.

لـو ابتغيـتم مـا بـين المشـرق والمغـرب رجـلاً جـدّه نبـي غـيري وغير أخي لم تجدوه.

إنّ أكيس الكيس التقى، وإنّ أعجز العجز الفجور.

لي في رقـابكم بيعـة تحـاربون مـن حاربـت وتسـالمون مـن سـالمت وقد سالمت معاوية.

إنّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول.

الأمـر الـذي اختلفـت فيـه أنـا ومعاويـة تركتـه لـه للإصـلاح وحقن دماء المسلمين.

ومـا عرضـه الشـريف المرتضـى هـو الأوفى ولاسيما توضيح مـا يحيط بهـذا الـنصّ، إذ قـال: (وقـد رُوي أنـه عليه السلام لمـّا طالبـه معاويـة بـأن يتكلم على الناس ويُعلمهـم مـا عنـده في هـذا البـاب، قـام عليه السلام فحمـد الله وأثنـى عليـه، ثـمّ قـال: **إنّ أكـيس الكـيس التقـى، وأحمـق الحمـق الفجـور، أيهـا النـاس إنّكـم لـو طلبـتم مـا بـين جـابلق وجـابلس رجـلاً جـدّه رسـول الله صلى الله عليه وآله مـا وجـدتموه غـيري وغـير أخـي الحسـين عليه السلام، وإنّ الله قـد هـداكم بأولنـا محمـد صلى الله عليه وآله، وإنّ معاويـة نـازعني حقـاً هـو لي فتركتـه لصـلاح الأمـة وحقـن دمائهـا، وقـد بـايعتموني عـلى أن تسـالموا من سالمت، وقـد رأيـت أن أسـالمه، ورأيـت أنّ مـا حقـن الـدماء خـير ممّـا**

سفكها، وأردت صلاحكم، وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين" كلامه ﷺ في هذا الباب الذي يصرح في جميعه بأنه مغلوب مقهور، مُلجِئٌ إلى التسليم دافع بالمسالمة الضرر العظيم عن الدين والمسلمين، أشهر من الشمس وأجلى من الصبح. فأما قول السائل إنه خلع نفسه من الإمامة فمعاذ الله، لأنّ الإمامة بعد حصولها للإمام لا تخرج عنه بقوله. وعند أكثر مخالفينا أيضًا في الإمامة أنّ خلع الإمام نفسه لا يؤثر في خروجه من الإمامة، وإنما ينخلع من الإمامة عندهم وهو حيّ بالإحداث والكبائر، ولو كان خلعه نفسه مؤثراً لكان، إنما يؤثر إذا وقع اختياراً. فأما مع الإلجاء والإكراه، فلا تأثير له لو كان مؤثراً في موضع من المواضع، ولم يسلّم أيضاً الأمر إلى معاوية بل كفّ عن المحاربة والمغالبة لفقدان الأعوان وإعواز النُصّار وتلافياً لفتنة على ما ذكرناه، فتغلب عليه معاوية بالقهر والسلطان مع أنه كان متغلباً على أكثره، ولو أظهر التسليم قولا لما كان فيه شيء إذا كان عن إكراه واضطهاد)[1].

---

(١) تنزيه الأنبياء ٢٢٤.

المراد من الخطبة في عَرض السيّد المرتضى:

التعريض: العقل إلى التقوى، والحمقُ إلى الفجور.

فهل بهذا الصلح تقوى وتجنب فجور؟!

حصر البنوّة والانتساب به وبأخيه إلى المبعوث رحمة للعالمين.

هداية المخاطبين بجدّه محمد صلى الله عليه وآله.

منازعة معاوية لحقّ تركه.

التذكير بشرط خلافته للمخاطبين (أن تسالموا من سالمت).

المسالمة لحقن الدماء والصلاح وتحقيق أمنية من كان يتمنى هذا الأمر.

الإحالة: إلى تأمّل ما سيكون والتحوّط من الفتنة التي ستأتي.

إذ جاء في تفسير الثعلبي لقوله تعالى: ﴿**وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾، (إلى أجل يقضي الله فيه ما شاء، أخبرنا أبو بكر الجوزفي، قال: أخبرنا أبو العباس الدعولي، قال: أخبرنا أبو بكر بن خيثمة، قال: حدثني السبيعي، قال: لـمّا سلم الحسن بن علي لمعاوية الأمر، قال معاوية: قم فاخطب واعتذِر إلى الناس، فقام فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ أكيس الكيس التقى، وإنّ أحمق الحمق الفجور، وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إمّا حقُّ امرئ كان أحقُّ به، وإمّا حقٌّ كان لي فتركته التماس الصلاح لهذه الأمّة، ثمّ

قال: ﴿وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾، "قال ربِّ احكم بالحق"، افعل بيني وبين من كذبني بالحق، والله لا يحكم إلاّ بالحق، وفيه وجهان من التأويل: قال أهل التفسير: الحق هاهنا بمعنى العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم القيامة يوم بدر، نظيره قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ﴾ الاعراف: ٨٩، وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ إذا شهد قتالاً قال: ربّ احكم بالحق؛ وقال أهل المعاني: معناه: ربّ احكم بحكمك الحق)[١].

فالاختتام بوجوب النظر إلى العواقب التي تنتظر خصمه، إذ لا يرى فيما جرى من صلح النهاية التي يأمل، بل يستبطن أنّ هذا الذي حصل فتنة، ينبغي مراجعة ما ستستبين الأمور على حقيقتها، في استشهاده بقوله تعالى: ﴿وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾ (الأنبياء: ١١١)، وفي هذا الاستشهاد إحالة على ما كان ممّا واجهه صاحب الدعوة ﷺ جدّ الإمام، وما كشفه الله له. إذ يربط أبو حيّان الأندلسي مثلاً الاستشهاد بهذه الآية بآية سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ

---

(١) تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٦/ ٣١٤.

وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٦٠)، قال أبو حيّان: (قال الحسن بن عليّ في خطبته في شأن بيعته لمعاوية **﴿وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾** في الشاهد لقوله تعالى: "أحاط بالناس" في الآية المذكورة، أي بإقداره)[١]. وينقل ابن عطيّة: (... أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرى بني أُميّة ينزون على منبره نزو القرود، فاغتمّ لذلك وما استجمع ضاحكًا من يومئذ حتى مات، فنزلت الآية مخبرة أنّ ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر، إنّما يجعلها الله فتنة للناس وامتحاناً، ويجيء قوله "أحاط بالناس" أي بإقداره، وأنّ كلّ ما قدّره نافذ، فلا تهتمّ بما يكون بعدك من ذلك، وقد قال الحسن بن عليّ في خطبته في شأن بيعته لمعاوية: **﴿وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾** (الأنبياء: ١١١) وفي هذا التأويل نظر، ولا يدخل في هذه "الرؤيا" عثمان بن عفان، ولا عمر بن عبد العزيز، ولا معاوية...)[٢].

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٥٢.

(٢) المحرّر الوجيز ٣ / ٤٦٨.

الكَيسُ والتُّقى:

أمّـا أكـيسُ الكُـيسِ فـالتقِيُّ: أكْـيَسُ وكُوسـى عـلى وزن أفعـل وفُعـلى، مـن الكَـيْسِ الغلبـة بالكياسـة، والكَـيِّسُ العاقـلُ، والكَـيسُ في الأمـور: يجـري مجـرى الرفـق فيهـا، وقـد كـاس فيـه يكـيس وتكـيَّس، (ومن المجـاز: أكـيَس الكَـيسِ التُّقـى، وأحمـق الحُمـقِ الفجـور؛ "وكَـيِّسٌ معروفٌ بالعقل، ومنه قول سيّدنا عليّ ﷺ في رواية:

أمـــا تـــراني كَيِّســـاً مُكيَّســـا　　　بنيـــت بعـــد نـــافعٍ مُخَيَّســـا

باباً حصيناً وأميناً كَيِّسا)[1]

وعــن (رســول الله ﷺ لمـا سـئل، مـن أكـيس المـؤمنين؟ قـال: أكثرهم ذِكرا للموت وأشـدهم لـه اسـتعداداً... الإمـام عـلي ﵇ لمـا سـئل عن أكيس الناس: من أبصــر رشـده مـن غيّـه فـمال إلى رشـده... الإمـام عـلي ﵇: أكـيس الأكيـاس: مـن مقـت دنيـاه، وقطـع منهـا أملـه ومنـاه، وصرف عنهـا طمعـه ورجـاه، رسـول الله ﷺ: أكـيس الكـيس التقـى، وأحمـق الحمـق الفجـور، الإمـام عـلي ﵇: أكـيس الكـيس التقـوى، رسـول الله ﷺ: أكـيس الكيسـين مـن حاسـب نفسـه وعمـل لمـا بعـد الموت، وأحمق الحمقـى مـن اتبـع نفسـه هواهـا وتمنـى عـلى الله الأمـاني،

---

(١) تاج العروس ١٦ / ٤٦، ٤٦٥.

عنه عليه السلام: كفى بالمرء كيسا أن يقتصد في مآربه ويجمل في مطالبه)[١]، وهذا هو مرجع الخطبة الذي لا يخفى على المتلقّي؛ بدليل ندم من دعا إلى الخطبة ومن ثَمّ أمره بمنع استمرارها.

وعنه صلى الله عليه وآله لمـّا سُئل عن أكيس الناس وأحزمهم: أكثرهم ذِكراً للموت، أكيس الكيِّسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت، وأحمق الحمقى من اتّبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني، عنه عليه السلام: أكيس الناس من رفض دنياه، وأكيسكم أورعكم، وأكيس الأكياس من مقت دنياه، وقطع منها أمله ومناه، وصرف عنها طمعه ورجاه[٢].

ونقول: إنّ هذه هي خطبة المحنة، إذ كان المطلوب من الإمام إظهار العِيّ والانكسار والاعتذار والضعف، وهذا ما كان يريده الفريق الذي يظنّ أنه المنتصر؛ في مقابل ما يُزعَم أنّ الحسين كان يقول للحسن: (نشدتك الله أن لا تصدّق أحدوثة معاوية وتكذّب أحدوثة عليّ)[٣]؛ فبإزاء هذين الموقفين المتناقضين تظهر براعة الإمام

(١) عيون الحكم والمواعظ ٣/ ٢٧٥١ ـ ٢٧٥٢.

(٢) ميزان الحكمة ٣/ ٢٧٥٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ١٦٠.

في التخلص من إظهار الخضوع والذلّة، أو التنصّل - لا سمح الله - من الأطروحة المؤتمن عليها، والتي تسلمها من جدّه ﷺ وأبيه ﵇، فكان أن اعتمد في حسن التخلص: الإحالة، والتنصيص، والإشارة، متجنّباً التصريح، وبالأسلوب غير المباشر، في شدّ متلقيه، وردّ غريمه، وتنبيه موافِقِه ومخالفه، إذ يفهم كلّ هذا من سياق مضمون ما كان يريد، من دون أن يخلّ بالشروط، أو يضيّع شيئاً ممّا يعتقد؛ بدليل ارتباك فريق الخصم وفشله في الحصول على ما أراده، وما تبع ذلك من خطبة معاوية العَيِيّة، والاستعداد في مرحلة لاحقة لكسر هذا التفوّق العقليّ الحسني.

بناء جمل الخطبة

أيّها الناسُ: إنّ الله عزّ وجلّ: نداء (الناس) بتوسّط (أيُّها)، والنداء للتنبيه على البدء بالخطاب، والتوكيد بـ (إنّ)، ولفظ الجلالة اسمها، (وعزّ وجلّ) جملة اعتراضيّة.

قد هداكم بأوّلنا: هداكم: فعل ومفعول ومضاف ومضاف إليه، والفاعل ضمير عائد على (الله) المتقدّم، والجملة في محل رفع خبر (إنّ).

قد هداكم بأوّلنا: بنبيّ الرحمة ﷺ.

وحقن دماءكم: فعل ومفعول ومضاف ومضاف إليه، وحقن دمه: منع من أن يُسفك[١]، والجملة معطوفة على ما قبلها.

حقن دماءكم: المنع من القتل، من أن يُسفك الدم[٢].

بآخرنا: جار ومجرور متعلق بالفعل، ومضاف ومضاف إليه، و(نا) المتكلمين، بالمتحدّث الخطيب نفسه عليه السلام المنتمي إلى أهل البيت شجرة النبوّة ومعدن الرسالة.

فهدايتكم وحقن دمائكم تحققت بنا أهل البيت: بأوّلنا وبآخرنا.

تقابل وانسجام بين: (أوّلنا):

أي: الهداية.. بجدّي (جدّ الحسن).

و(وآخرنا):

أي: حقن الدماء.. بي (الحسن).

وإنْ أدري: بمعنى ما أدري على سبيل تأمّل المستقبل.

﴿وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلى حِينٍ﴾ (الأنبياء:١١١).

---

(١) لسان العرب ٢/ ٩٤٨.

(٢) لسان العرب ٢/ ٩٤٨.

لعلّه فتنة لكم: لعلّ الإمهال وتأخير هذا الموعد فتنة لكم أي امتحان واختبار وتشديد لينظر كيف تعملون(١)، لعلّه: كناية عن غير مذكور، والهاء تعود على مدار الخطاب ومحورها.

ومتاعٌ إلى حين: تمتيع إلى انقضاء المدّة ليكون ذلك حجة عليكم، ﴿**وَمَا الحياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ**﴾ (آل عمران: ١٨٥) والمتاع بقاء أيّام(٢)، البقاء إلى انقضاء المدّة.

ويُلحظ تكرار ضمير المخاطبين (الكاف مع ميم الجمع) مرّتين، مرّة مع كلّ جملة، ومثلهما في التكرار ضمير المتكلّم (نا) المنتسب إلى بيت المبعوث رحمة للعالمين ﷺ سبب الهداية وحقن الدماء، وتمّم الانسجام بالافتتاح (الهداية): (بأوّلنا)، والاختتام (حقن الدماء): (بآخرنا)؛ تعبيرًا عن استمرار الرحمة وتواصل الموعظة.

ألا إنّ أكيس الكيس التقى، وأحمق الحُمقِ الفجور: الكَيْسُ: خلاف الحُمقِ، والكَيِّس بوزن الطيِّب(٣).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٨٣، تفسير الكشاف ٦٨٨.

(٢) ترتيب كتاب العين ٣/ ١٦٧٣.

(٣) ترتيب جمهرة اللغة ٣/ ٢٥٧.

ألا إنّ أكـيسَ الكـيس التقـى: ألا: للتنبيـه دالّـة عـلى تحقّـق مـا بعـدها، تـدخل عـلى الجملتـين، نحـو قولـه تعـالى: ﴿**أَلَا إِنَّهُـمْ هُـمُ السُّـفَهَاءُ وَلَكِـنْ لَا يَعْلَمُـونَ**﴾ (البقـرة: ١٣)، ﴿**أَلَا يَـوْمَ يَـأْتِيهِمْ لَـيْسَ مَصْـرُوفاً عَـنْهُمْ**﴾ (هـود: ٨)، وهمـزة الاسـتفهام إذا دخلـت عـلى نفـي أفـادت التحقيـق[١]. و(إنّ أكـيسَ الكـيسِ)، إنّ واسـمها ومضـاف إليـه، التّقى: خبرها.

وأعجـز العجـز الفجـور: جملـة اسـميّة مثلهـا معطوفـة عـلى مـا قبلها.

والجملتـان بُنيتـا بنـاءً لطيفًـا؛ إذ أضـيف المسـند فـيهما إلى مجانسـه (أكـيسَ الكـيسِ) (وأعجـز العجـز)، وهـو مـن الجنـاس النـاقص، لاتفـاق اللفظـين في الحـروف والهيـأة، دون الصـورة[٢]، وقـد اسـتعيرا لِحِجـاجِ المقابـل والتـأثير في موقـف المتلقـين؛ وفـيهما لمسـة أسـلوبيّة بلاغيّـة لافتـة لانتبـاه المخـاطبين، وهمـا المحـور الـدلالي الأسـاس لهـذه الخطبة، لذا سُبقا بوسيلتي توكيد (ألا و إنّ).

---

(١) مغني اللبيب ١/ ٧١.

(٢) التبيان في البيان للطيبي ٤٠٤.

الانتقال من ربط العقل بالتقى، والعجز بالفجور، إلى تنازل الإمام عن الأمر لمعاوية، الذي ترك الإمام الربط إلى تفكر المخاطب، وأيّهما أحقّ به، من دون أن يعترف له بالأحقيّة اعترافاً مباشراً، وكان المقابل ينتظر الاعتراف ويريده ويتوقعه وهو غايته من هذا الخطاب، ولا سيما بعد التسليم، لكنّ الإمام يقول:

(ألا وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إمّا حقُّ امرئٍ كان أحقّ به منّي، أو حقّ لي فتركته له).

ألا وإنّ هذا...: كرّر أداة التنبيه المتبوعة بـ (إنّ) مرّة أخرى، دالّة على تحقق الأمر في الجزء الأوّل: (هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية)، وقد سرّب للتفكر تحقّق الثاني بـ (إمّا) و (أو). فلم يسلّم لخصمه، ولم يقرّ له بالأحقّيّة أو الأفضليّة، فيما كان ينتظر الخصم مثل هذا التسليم والإقرار، مثلما قلنا، بل ترك الأمر مفتوحاً لتأمّل المتلقّي، أو ما يدعونه بمعنى المعنى الذي يتحصّل كما يقولون ما بين السطور ومن السياق، وليس من ظاهر الألفاظ المباشرة، فالتسليم اضطراري لمن هو أدنى، ومن دون إرادة، ويعقّب هذا بالتلويح بخطورة متوقعة.

وفي روايــة: **حــقُّ امــرئٍ**: أضــاف إلى نكــرة عــلى ســبيل الفــرض، وفي المقابــل: **حــقّ لي فتركتــه لــه**، عــدل عــن التصــــريح بالمُسَــلّم لــه، واكتفى بمطلق التسليم، للدواعي المفهومة.

ويختــم بوجــوب النظــر إلى العواقــب التــي تنتظــر الفــريقين، إذ لا يرى فيما جرى من صــلح النهايــة الصــحيحة بــل يســتبطن أنّ هــذا الــذي حصــل هــو فتنــة، ولا بُــدّ مــن مراجعــة مــا ســيؤول الأمــر إليــه، إذ ستستبين الأمور على حقيقتها، في استشهاده بقوله تعالى:

﴿**وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ (الأنبياء: ١١١).

وإن أدري: ما أدري.

لعلــه فتنــة لكــم: لعــلّ الإمهــال فتنــة لكــم، والهــاء تعــود عــلى الصــلح، فلعــلّ الصــلح فتنــة للمــتردّدين ســابقًا واختبــار لهــم، ومتــاع لمريدي الدنيا الساعين لها.

وقبل هــذه الآيــة في القــرآن الكــريم ﴿**إِنَّــهُ يَعْلَــمُ الجهْــرَ مِــنَ الْقَــوْلِ وَيَعْلَــمُ مَــا تَكْتُمُــونَ**﴾ (الأنبيــاء: ١١٠)، (الله عــالم لا يخفــى عليــه مــا تجـاهرون بــه مــن كــلام... في صــدوركم، ومــا أدري لعــلّ تــأخير هــذا الموعــد امتحــان لكــم لينظــر كيــف تعملــون... ليكــون ذلــك حجــة

عليكم، وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة)[١]، قال ابن عطيّة: (في هذه الآية تهديد، أي يعلم جميع الأشياء الواقعة منكم وهو بالمرصاد في الجزاء عليها)[٢]؛ وابن عاشور: (إنّه أمر منتظر الوقوع، وإنّه تأخر عن وجود موجبه، والتقدير: لعلّ تأخيره فتنة لكم، أو لعل تأخير ما توعدون فتنة لكم)[٣]، وجاء في الميزان: (إنّ المراد بالجهر من القول ما أظهره المشركون من القول في الإسلام طعناً واستهزاء، وبما كانوا يكتمون ما أبطنوه عليه من المكر والخدعة... وما أدري لعلّ هذا الإيذان الذي أمرت به أي مراده تعالى من أمره لي بإعلام الخطر امتحان لكم ليظهر به ما في باطنكم في أمر الدعوة فهو يريد به أن يمتحنكم ويمتّعكم إلى حينٍ وأجلٍ استدراجًا وإمهالاً)[٤].

وإنْ أدري: بمعنى ما أدري، والفعل للمستقبل.

أقريب أم بعيد ما توعدون: أمر منتظر الوقوع.

أقريب أم بعيد ما توعدون: أحال على التفكّر، وعلى ما ينتظر وقوعه.

---

(١) الكشاف للزمخشري ٦٨٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٠٣.

(٣) التحرير والتنوير ١٧/ ١٢٨.

(٤) الميزان ١٤/ ٢٧٠.

وإنْ أدري لعلّه فتنة لكم: لعلّ الإمهال وتأخير هذا الموعد فتنة لكم أي امتحان واختبار وتشديد لينظر كيف تعملون[١]، لعلّه كناية عن غير مذكور، والهاء تعود على مدار الخطاب ومحوره.

ومتاعٌ إلى حين: تمتيع الذين سعوا إلى الصلح، هذه مهلة إلى انقضاء المدّة ليكون ذلك حجة عليكم[٢].

وإنّ لهذا الأمر مدّة: وفي القرآن الكريم **﴿أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾** (الشورى: ٥٣).

وإنّ لهذا الأمر مدّة: قال تعالى: **﴿أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾** (الشورى: ٥٣).

والدنيا دول: وفي القرآن الكريم: **﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾** (آل عمران: ١٤٠)، حقيقة ومثل قرآني[٣]. **والدنيا دول:** وفي القرآن الكريم: **﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾** (آل عمران: ١٤٠)، حقيقة ومثل قرآني[٤].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٨٣، تفسير الكشاف، للزمخشري ٦٨٨.

(٢) نفسه.

(٣) مواهب الرحمن ٦/ ٣٦٦.

(٤) نفسه ٦/ ٣٦٦.

وإنْ أدري: تكرار لما قبله بمعنى ما أدري، والفعل للمستقبل.

الانتقال من ربط العقل بالتقى، والحمق بالفجور، إلى تنازل الإمام عن الأمر لمعاوية، الأمر الذي تركه الإمام إلى تفكر المخاطب وأيّهما أحقّ به، من دون أن يعترف له بالأحقيّة، وهي التي كان يتوقعها ويريدها من طلب الخطاب، في قوله:

ألا وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إمّا حقّ امرئٍ كان أحقّ به منّي، أو حقّ لي فتركته له.

أراد بـ (**أو**) الحيرة والتردّد، وسيلة وأداة في حسن التخلّص، وعدم الإقرار؛ فدلالة (**أو**) هنا الجمع بين الخبرين المتناقضين، فمثله مثل قوله تعالى: ﴿**وإنّا أوْ إيّاكم لَعَلَى هدًى أو في ضلالٍ مُبِينٍ**﴾ (سبأ: ٢٤)، يقال على وجه الإنصاف في الحِجاجِ دون الشك، جاءت في سياق إلقاء الحجة ووضوح الحقّ، وإلزام الخصم البيّنة الواضحة، بعد افتراق الهدى من الضلال، وضرورة ترك الجدال، وجَعْلِ الفريق الآخر بين قبول الحق أو متابعة الباطل، قال الفرّاء: (أنت تقول في الكلام للرجل: إنّ أحدنا لكاذب فكذّبته تكذيباً غير مكشوف)[1]؛ والحِجاج بهذا جاء في اعتراض من اعترض على قول

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٦٢.

أبي الأسود:

أحـــبُّ محـمّــداً حبــاً شـديــداً وعبّاســــــاً وحمــــزةَ والوصــيــّـا

أحـبّهُــــمُ لحـــبِّ الله حـتّــى أجـــيءُ إذا بُعِثـــتُ علــى هَـويّــا

فــإن يــكُ حُبُّهُــم رشــداً أُصِـبهُ ولســتُ بِمُخطــئٍ إن كــان غَيّــا

يقــول الأرذلــون بــنو قُشيــرٍ طــوال الـدهـر مـا تـنـسـى علـيّـا

بنــو عــمّ النبــيّ وأقربــوه أحــبُّ النــاس كـلّهِـمُ إلــيّا[1]

فقالوا له: أشككت يا أبا الأسود، فقال: ألم تسمعوا الله تعالى يقول: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ (سبأ: ٢٤)، أفترون الله شكَّ!)[2].

(لم يقل هذا لكونه [أي الدؤلي] شاكّاً في محبتهم وقد أيقن أنّ محبتهم رشد وهدى، وقيل أنه جمع بين الخبرين وفوّض التمييز إلى العقول فكأنّه قال: إنّا على هدى وأنتم على ضلال... وهذا من أحسن ما ينسب به المحقّ نفسه إلى الهدى وخصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل بل ينسب إليه على أحسن

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي ١٥٣.

(٢) أمالي المرتضى ١/ ٢٩٢.

وجه ويحثّه على النظر ولا يجب النظر إلاّ بعد التردّد)[١].

قال أبو عبيدة في توضيح معنى الآية السابقة: (قال قوم قد يتكلم بهذا من لا يشك في دينه، وقد علموا أنّه على هدًى وأولئك في ضلال مبين، فيقال هذا وإن كان كلاماً واحداً على وجه الاستهزاء يقال هذا لهم، قال أبو الأسود:

يقول الأرذلون بنو قُشيرٍ ... طوال الدهر ما تنسى عليّا

بنو عَمّ النبيّ وأقربوه ... أحبُّ الناس كلّهِمُ إليّا

فإن يكُ حُبّهم رشداً أصبه ... ولست بمخطئٍ إن كان غيّا[٢]

قال أبو الفتح الأربلّي: "لا تظننّ الحسن ﷺ تردّد شاكاً في نفسه مخالفاً لاعتقاده ومذهبه لا والله، ولكنّه جرى على لغة القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ (سبأ: ٢٤)"[٣].

فعند مناصري الإمام الحسن ﷺ: (أنّه نال ما أراد، ومهّد

---

(١) مجمع البيان ٨/ ٥٠٤.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٤٨.

(٣) كشف الغمة ٢/ ١٩٢.

الأجواء والمكان لثورة الإمام الحسين عليه السلام بهذا الصلح، فكان الصلح الحسني ممهداً للثورة الحسينية، فبعد مضيّ أيّام على توقيع معاهدة الصلح أسقط معاوية القناع عن وجهه فبدأ يعترف بنواياه... ألا وإنّي كنت منيّت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشيء منها)[١] ؛ وعند السيّد البدري كان النقض على مرحلتين[٢]؛ فلمّا مات معاوية انقضت مدّة الهدنة التي كانت تمنع الحسين بن عليّ عليه السلام من الدعوة إلى نفسه[٣].

"قال الحضرمي: (وكان صلحه هذا (رضي الله عنه) من أعظم التدبير، ومن خفيّ اللطف الذي جرت به المقادير فإنه رض حقن به دماء خلق كثير وفاز فيه بأجر كبير)[٤].

وكانت تجربة الإمام الحسن في إرساء الهدنة، وبثّ روح التعايش، وإقرار عدم الاعتداء تجربة تاريخيّة مهمة، لمن يريد أن يُبعدَ ما يُحتمل من احتراب بين المسلمين في زمنه، وفي قابل أزمانهم،

---

(١) الإرشاد ٢/ ١٤.

(٢) صلح الإمام الحسن ٢٣.

(٣) نفسه.

(٤) قادتنا كيف نعرفهم ٣/ ٤٨٦.

ولاسيما لمن يتأمّل تتابع ما حدث، إذ كان قد منح من يريد أن يتأمّل ويتدبّر في حينه وفي كلّ حين فرصة تقويم تجربة الحرب والسلام، والتفكير فيمن يريد الإبقاء والحوار، ومن يريد التكفير والفناء، ومن يثبت على الصلح، ويتعاطى معه بإيجاب، ومن يستبدّ وينقلب عليه، وعلى الآخر الذي يخالفه؛ كلّ ذلك لأنّ نهج الإمام في خطبته هذه نهج تصالح، وفي الوقت نفسه اختبار غايات من ناوأه، الذي ناقض فيما بعد ما اتُّفِق عليه، وحاول هذا المناوئ القضاء على من يخالفه ولا يسير في ركبه، وبهذا كشف الإمام غايات خصمه ومراميه.

وإنّ مراجعة خطاب الصلح توضّح ما جرى، وتجلّي مواقف طرفي النزاع: الطرف الغالب الذي كان ينتظر إقرار المغلوب، وإذلاله، وإظهار ضعفه، والطرف الآخر طرف التنازل عن السلطة، الذي لا يظهر ذلك، حتّى أنّه يتوعّد من يخالف شروط الصلح، في قوله: **"إنّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول"**، ففي هذا الخطاب اختبار مواقف المعنيّ، وكذلك جميع المخاطبين، وكانت قوّة تهديده من اعتماد نصّ القرآن الكريم الذي لا يمكن أن يُردّ، مقتطعًا من قوله تعالى: **"وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون إنه**

يعلـم الجهـر مـن القـول، ويعلـم مـا تكتمـون وإن أدري لعلـه فتنـة لكـم ومتـاع إلى حـين"؛ أضـمر الإمـام الحسـن مـا لا يريـد أن يبـوح بـه للأسـباب المعروفـة، وكـان قـد اسـتبطن مـا يريـده بالتنصـيص مـن القـرآن الكـريم، ليكـون أكثـر تـأثيرًا في متلقّيـه، بـاعتماد القـرآن الحجـة الأبلغ والأعلى والأقوى في المصدر والدلالة.

فالإمـام يحيـل عـلى قـول الله عـزّ وجـل، وعـلى المسـتقبل، وانتظـار مـا سـيكون، لا التسـليم لما موجـود، عـلى مـا هـو عليـه، ويحيـل إلى مـا يمكـن أن نـدعوه متلازمـات الخطبـة الواضـحة الـترابط عنـد المتلقـين التي يعرفها المخاطبون:

الهداية بجدّه صلى الله عليه وآله وحقن الدماء به

والعقل بالتُّقى

والعجز بالفجور

ولهذا الأمر مدّة، والدنيا دول

فـلا نجـد تسـليم سـلطة، ولا إقـرار بهزيمـة، إذ إنّ قاعـدة الصـلح عنـد الإمـام الالتـزام بالهدايـة والتُّقـى؛ أمّـا استشـهاده بقولـه تعـالى: ﴿**وإِنَّـا أَوْ إِيَّـاكُمْ لَعَـلَى هُـدىً أَوْ فِي ضَـلَالٍ مُبِـينٍ**﴾ (سـبأ: ٢٤)، ففيـه تكذيب مبطّن للمقابـل، ومـراده مـن افـتراض الضـلال تضـليل الآخـر،

لأنّ المتلقي المعنيَّ بالخطاب وغيره على وعيٍ بما يحيط بهذه الخطبة.

فالتناقض بين الطرفين واضح، وكذلك مخالفة أحدهما الآخر، والاحتكام والإحالة على النصوص في اكتساب الشرعيّة، وقد استعان الخطيب بإمكانات اللغة في تسريب ما تبطن من تهديد بوعد الله ووعيده، لأنّ المخاطب ينكر ما يعرفه معرفة أكيدة.

إذ يُلحَظُ أنّ دفاع الفريق الآخر يحاول تخطّي لبّ الخلاف، ومضامين خطب الإمام ولاسيما مثل هذه الخطبة التي تدور بمدار العقل والعبرة والتُّقى وهداية المبعوث رحمة، إلى ما هو ثانويّ، يسيء إلى هذه المضامين وإلى مقام الإمام ومكانته، في مثل قول أحدهم: (ترك الكوفة الحسن محمّلاً بالأموال والمتاع؛ وقيل في الحسن: إنّه استبقى معه مبلغًا من بيت المال؛ وقد أُخِذ عليه ذلك... لا غرابةَ إذ رأيناه يستبقي لديه المال، قلّ أو كثر، سيّما [كذا] وهو حقّ المحاربين ليتوازعوه فيما بينهم)[1].

ويقول في موضع آخر: (كان ذلك صكّ التنازل بين الطرفين، فهل وَفَى معاوية والحسن بما جاء في هذا الصكّ ووافقا عليه، يقول

(١) معاوية بن أبي سفيان ١٨٧.

بعض المؤرّخين: إنّ معاوية لم يفِ للحسن بما جاء في شرط الأموال التي طلبها الحسن منه، ولكنّ المعروف والمعتقد أنَ معاوية بَرَّ بالحسن وأرضاه بالمال، فلم يجد الحسن في حياته بالمدينة ضِيقاً ولا حرجاً، بل كان ينفق عن سعة، وعاش بالمدينة عيشة الغَنِيّ السخيّ الذي لم يحسب للمال حساباً)(١).

والحقُّ أنّ هذه الخطبة وغيرها ممّا نعرضه في هذا الكتاب، وثائق تاريخيّة مهمة تظهر شخصيّة الإمام، وحقائق صدعت بها خطبه، لا يُعقل أن تهمل، بإزاء ما أشاعوه ممّا لا يليق بسبط رسول الله، مثلما عرضنا في النصّ الذي ذكرناه قبل قليل، مدّعين أنّ الإمام يُستَرضَى بالمال، أو الذي لا يحسب للمال حساباً!!

ويقول عميد الأدب العربي في تقويم مضمون هذه الخطبة ومكانة الإمام الحسن: (خير ما يمكن أن يُقال، وأصدق ما يمكن أن يُقال أيضاً: " أيّها الناس: إنّ أكيس الكيس التقى وإنّ أحمق الحمق الفجور، وإنّ هذا الأمر الذي سلمته لمعاوية إمّا أن يكون حقّ رجلٍ كان أحقّ منّي فأخذ حقّه، وإمّا أن يكون حقّي، فتركته

---

(١) نفسه ١٩١.

لصلاح أمّة محمد، وحقن دمائها..."")[1].

فالحسن إمام بتعيين جدّه ﷺ (إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة)[2]؛ و(ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا)[3]؛ ويتأكّد هذا من قوله تعالى: ﴿**قل تعالَوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم**﴾... (آل عمران: ٦١) قال أبو حيّان (أي يدعو كلّ منّي ومنكم أبناءه... وقال أبو بكر الرازي وفي الآية دليل على أنّ الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ... وفي ترك النصارى الملاعنة... شاهد عظيم على صحّة نبوّته)[4].

ونترك الأمر للمنصف مراجعة ما أشاعوه من أحاديث تشويش، من مثل ما عرضنا، أو: أنّ الإمام يبحث عن الملذات والترف والبذخ والشهوات، وقد باع منصب الإمامة التي قلده إيّاها جدّه.

---

(١) الفتنة الكبرى ٢/ ١٨٥.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥/ ٣٩١، سنن الترمذي ٥/ ٣٢١، فضائل الصحابة للنسائي ٢٠، وتاريخ مدينة دمشق، ترجمة الإمام الحسن ص٧٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٤٤٢، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ١٤١.

(٤) البحر المحيط ٢/ ٥٠٢ - ٥٠٣، وينظر: مجمع البيان ٢/ ٥٧٩.

الخطبة السادسة: خطبةُ الثبات وردِّ التجاوزات

يختصر الجاحظ الموقف بعد تسليم الإدارة والسلطة، بقوله: (اسْتَبَدَّ معاوية على الملك، واسْتَبَدَّ على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الّذي سمّوه – عام الجماعة – وما كان عام جماعة، بل كان عام فُرقة، وقهر، وجبرية، وغلبة، والعام الّذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة منصباً قيصرياً، أوَلم يَعْدُ ذلك أجمع الضلال والفسق)[1].

ولا بُدّ لمن يتأمّل هذا النصّ أن يتساءل الأسئلة المشروعة الآتية:

أوَلا يعني مثل هذا النصّ تغيّر الأحوال بعد الصلح؟

فهل صارت الجماعتان جماعة واحدة؟

وهل يمكن أن يكون الإمام بعد التسليم تابعاً لملك كسرويّ؟

وهل يتصوّر أن يأتمر بأوامر قيصريّ؟!

وهل يترك الإمام أصحابه لهذا الاستبداد وينقلب عليهم؟!

وهل يُعقل أن يلتحق بجماعة الضلال والفسق؟!

---

(١) رسائل الجاحظ، الرسالة ١١،ص ٢٩٢.

هـذه أسـئلة خلافيّـة متداولـة معروفـة كانـت مـن نتـائج تسـليم السـلطة، يكثـر فيهـا الكـلام والجـدال، لسـنا في صـدد الغـوص في مضـامينها، وهـذه المضـامين تؤكّـدُ التشـبّث بالـدعوة وبمؤسّسـها المبعـوث رحمـة، ولهـذا اسـتمر التبـاين في المواقـف بـين الفـريقين، ولاسـيّما فـيما ادُّعِـي مـن ادّعـاءات سـاندها جهـد الدولـة وإمكاناتهـا لا يعنينـا في بحثنـا هـذا كونهـا صـحيحة أم غـير صـحيحة، ومنهـا مـا روى الواقـدي: أن معاويـة لّمـا عـاد مـن العـراق إلى الشـام بعـد صـلح الإمـام الحسن عليه السلام واجـتماع النـاس إليـه خطـب فقـال: (أيهـا النـاس، إنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله قـال لي: "إنـك سـتلي الخلافـة مـن بعـدي، فـاختر الأرض المقدسـة، فـإن فيهـا الأبـدال"، وقـد اخـترتكم، فـالعنوا أبـا تـراب؛ فلعنوه. فلما كان من الغـد كتـب **كتابـاً، ثـم جمعهـم فقـرأه علـيهم**، وفيـه: هذا كتـاب كتبـه أمـير المـؤمنين معاويـة، صـاحب وحـي الله الـذي بعـث محمداً نبيّاً، **وكان أميّـاً لا يقـرأ ولا يكتـب**، فاصـطفى لـه مِـنْ أهلـه وزيـراً كاتبـاً أمينـاً [يعنـي نفسـه]، **فكـان الـوحي ينـزل عـلى محمـد وأنـا أكتبـه، وهو لا يعلم ما أكتب**، فلـم يكـن بينـي وبـين الله أحـد مـن خَلْقِـه؛ فقـال له الحاضرون كلهم: صدقت يا أمير المؤمنين)[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٢٨٩.

وقد يعترف حتى من يدافع عن تأسيس الدولة الأمويّة، ويشيد بمنجزاتها الإداريّة، بوجود معارضة لها منهج يخالف سياسة الأمويين، إذ كان الإمام الحسن نفسه هو وأتباعه يراقبون سلوك من صالحوه، إذ يقول هذا المدافع: (لقد دلّت الدلائل والحوادث التاريخيّة أنّه كانت معارضة شريفة لحكم معاوية ظهرت منذ أن ترك الحسن مقاليد الأمور، وهذه المعارضة ترأسها الحسن نفسه في المدينة، فرسم لهذه المعارضة خطّة العمل السياسي المقبل، ومنذ ذلك التاريخ ظهر التنظيم السياسي لشيعة عليٍّ وبنيه في المدينة، فكان الحسن رئيس هذا التنظيم بل الحزب السياسي الذي غُرست نواته في آخر خطبة ألقاها الحسن في أهل الكوفة طالباً إليهم أن يكونوا في وضع المسالم للحاكم المتحفّز للحرب، وهذه المسالمة أودعها قلوب المسلمين من أصحاب أبيه وأشياعه، كانت في الحقيقة سِلماً موقوتاً لحرب شديدة لاهبة لا تُبقي ولا تذر، يمكن أن تُثار حين صدور الأوامر بالاستعداد لها وإثارتها، ومن الإمام المتربّص في يثرب... كان [هذا] واضحاً كلّ الوضوح، وتطبيق الأوامر بين أعضائه يسير سيراً حسناً لا عسر فيه ولا تعقيد، طاعة الإمام من بني عليّ رضي الله عنهم، وانتظار وتأهب في سلم وموادعة حتى يُؤمروا بالحرب فيثيروها من دون إبطاء، وعلى هذا النمط سار الحزب سيرته

القديمـة، فكـان أتبـاع الإمـام يلقـون بعضـهم بعضًـا ويتـذاكرون في أمـورهم مـراقبين معاويـة وولاتـه مسـجلين علـيهم مـا يـرون أنّهـم تجاوزوا فيه الحقّ والعدل، بانتظار ما يأمرهم به الإمام)[١].

واسـتكمالاً لمـا تقـدم لابُـدّ أن نأخـذ أمثلـة مـن غـير مصـادر الخلاف والاختلاف العقديّـة التقليديّـة المعروفـة التـي ربـما يُقـال عنهـا أنّهـا منحـازة إلى أحـد الفـريقين، إذ سـننظر إلى الموجـود في كتـب الأدب وغيرهـا، مـن مثـل كتـاب (الكامـل) وغـيره، مـن الكتـب التـي هـي أقرب للحيـاد، ومـن المـؤلفين الـذين لم يعرفـوا بالميـل أو الانحيـاز إلى آل البيـت، ننقلهـا -كـما هـي- شـواهد واضـحة عـلى ثبـات الإمـام الحسـن عـلى مـنهج والـده أمـير المـؤمنين المعهـود، إذ يـذكر المـبرّد أنّ (أوّلَ مـن خـرج بعـد مقتـل عـليّ عليه السلام حـوثرة [بـن وداع بـن مسـعود] الأسـديّ (ت٤١هـ)، فإنّـه كـان منتحيـاً بالبَنْـدَنيجينِ [منـدلي]، فكتـب إلى حـابس الطـائيّ يسـأله أن يتـولّى أمـر الخـوارج، حتّـى يسـير إليـه، يَجمعـه فيتعاضـدا عـلى مجاهـدة معاويـة، فأجابـه فرجعـا إلى موضـع أصـحاب النخيلـة ومعاويـة بالكوفـة حيـث دخلهـا مـع الحسـن بـن عـليّ عليه السلام، بعـد

(١) معاوية بن أبي سفيان ١٨٨ – ١٨٩.

أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام [كذا] وقيس بن سعد بن عبادة، ثمّ خرج الحسن يريد المدينة فوجّه إليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولّي لمحاربتهم، فقال الحسن: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذلك يسعني، أفأقاتل عنك أنت! والله أنت أولى بالقتال منهم؟!)[1].

وفي الكامل لابن الأثير (لو آثرت أن أقاتل أحدًا من أهل القبلة لبدأت بقتالك...)[2].

وفي أنساب الأشراف للبلاذريّ: (ثم إنّ الحسن شخص إلى المدينة، وشيّعه معاوية إلى قنطرة الحيرة، وخرج على معاوية خارجي، فبعث إلى الحسن من لحقه بكتاب، أمره فيه أن يرجع في قتال الخارجي وهو [عبد الله] بن الحوساء الطائي، فقال الحسن: تركت قتالك وهو لي حلّ لصلاح الأمة وأُلفَتِهم؛ أفتراني أقاتل معك؟!!)[3].

---

(١) ٢/ ١٥٠.

(٢) ٣/ ٤٠٩.

(٣) ٣/ ٤٦.

و(روى أبو الحسن المدائني: قال: خرج على معاوية قومٌ من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح الحسن عليه السلام له، فأرسل معاوية إلى الحسن عليه السلام يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج، **فقال الحسن: سبحان الله! تركت قتالك وهو حلّ لي لصلاح الأمّة وأُلفتِهم، أفتراني أقاتل معك؟!** فخطب معاوية أهل الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة، أترونى قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكنّني قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك، وأنتم كارهون، ألا إنّ كلَّ مالٍ أو دمٍ أصيب في هذه الفتنة فمطلولٌ، وكلّ شرط شَرَطتُه فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس إلاّ ثلاث: إخراج العطاء عند محلّه، وإقفال الجنود لوقتها...)[1].

دلالة الامتناع عن الاستجابة:

أظهر الإمام الحسن عجبه من سؤاله (أن يخرج فيقاتل الخوارج)، (**سبحان الله! تركت قتالك وهو حلّ لي لصلاح الأمّة وأُلفتِهم، أفتراني أقاتل معك؟!**) أي أعجب من طلبك هذا، إذ أنت أولى بالقتال، وقد تركته مع من يجب قتاله لمصلحة الأمّة وصلاح المسلمين.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٤.

سبحانَ الله!: عبارة تستعمل للتعجب مفعول مطلق ناب عن فعله أسبّحُ (قال ابن جنّي: سبحانَ اسمُ علمٍ لمعنى البراءة والتنزيه بمنزلة عُثمان وعِمران، اجتمع في سُبحان التعريف والألف والنون، وكلاهما علّة تمنع من الصرف... وروى الأزهريّ بإسناده أنّ ابن الكوّاء سأل علياً، رضوان الله تعالى عليه، عن سبحان الله، فقال: كلمة رضيها الله لنفسه فأوصى بها)[1].

تركت قتالك وهو حلّ لي لصلاح الأمّة وأُلفتِهم: الحِلُّ هو الحلال المباح ضدّ الحرام (كأنّه من حللت الشيء إذا أبحته وأوسعته)[2].

أفتراني أقاتل معك؟! أفتراني: بمعنى العلم والدعوة إلى التأمّل والتمييز بين أمرين متناقضين لا الرؤية البصريّة، وقد تجرّدت للخطاب والاحتجاج على المخاطب: أي إذا كنتُ تركتُ ذاك فكيف يكون هذا؟!.

---

(١) لسان العرب ٣ / ١٩١٤ - ١٩١٥ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٠.

وهـذا الجـواب دليـل عـلى شرعيّـة قتـال معاويـة مـن وجهـة نظـر الإمام، وكـذلك الثبـات عـلى المـنهج العقـديّ مـنهج والـده الـذي تأكّـد في كـلّ خطبـه، وعـدم التنـازل أو التغـيّر عـمّا كـان عليـه قبـل الصـلح السياسي.

ويـرجّح السـيّد البـدري أنّ التغـيّر والتراجـع عـن شروط الصـلح كان على مـرحلتين، أشـدّها بعـد وفـاة الإمـام الحسـن، وبعـده وفـاة والي الكوفـة المغـيرة بـن شـعبة سـنة (٥٠ – ٥١هـ)، وبعـد توليـة زيـاد بـن أبيـه[١]؛ وزيـادٌ هـذا هـو الـذي زاد في سـنَنِ القمـعِ والظلـمِ والاسـتبداد والطغيـان، وعـدم الرحمـة، حتّـى أنـه يظهـر هـذا ويربطـه ربطـاً دينيـاً في خطبته البتراء: (والله لو علمـتُ أنّ أحـدَكم قـد قتلَـهُ السِّـلُّ مـن بغضـي لم أكشـفْ لـه قناعـاً... نسوسُـكم بسـلطان الله الـذي أعطانـا، ونـذودُ عـنكم بفـيءِ الله الـذي خوّلَنـا)[٢]، ومـن ذلـك الطغيـان رسـالته إلى الإمـام الحسـن التـي تكشـف عـن صَـلَفه وانحلالـه، وفيهـا: (مـن زيـاد بن أبي سـفيان إلى الحسـن بـن فاطمـة، أمّـا بعـدُ، فقـد أتـاني كتابـك تبـدأ

(١) صلح الإمام الحسن ٢٧.

(٢) نصوص من الأدب الأمويّ ٤٦٣.

فيه بنفسك قبلي، وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سُوقة...)[١]، فأجابه الإمام الحسن (من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سُميّة، الولدُ للفراش وللعاهر الحجر)[٢]، فهذا هو خطابه للإمام الحسن عليه السلام فكيف يكون لعامّة الناس ولاسيما لأتباع الإمام من أهل الكوفة؟!

ومعروف أنّ ولاء عامّة أهل الكوفة لأمير المؤمنين (قال حريز بن عثمان الرحبي الحمصي (١٦٣هـ): أنتم يا أهل العراق، تحبون علي بن أبي طالب، ونحن نبغضه، قالوا: لِمَ؟ قال: لأنه قتل أجدادي... وقيل لا يخرج [حريز] من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرّة... سبع سنين)[٣].

وعلى الرغم ممّا أظهره الإمام الحسن من أهل الكوفة، لكنّه حين خرج منها إلى المدينة تمثّل بقول الشاعر:

وما عن قِلىً فارقتُ دارَ معاشري ... هم المانعون حوزتي وذماري

---

(١) نفسه ٥٣٥.

(٢) نفسه.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤/ ٧٠، وينظر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٧٥.

ومن هذا ما يُروى من قول معاوية للزرقاء بنت عَديّ: (والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إليّ من حبّكم له في حياته)[١].

ويُروى أنّ معاوية لـمّا دخل الكوفة في النصف الثاني من جمادى الأولى سنة ٤١، وبعد أن استتمّ الصلح، أقام بها أيّاماً، ثمّ صعد المنبر فخطب الناس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام فنال منه ونال من الحسن، وكان الحسن والحسين حاضرين، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذ بيده الحسن، فأجلسه ثمّ قام فقال: (**أيّها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة، وأمّك هند، وجدّي رسول الله، وجدّك حرب، وجدّتي خديجة، وجدّتك قيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفرًا ونفاقاً**)[٢].

وكان مثل هذا قد جاء في خطاب أمير المؤمنين لمعاوية، في قوله: (ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان

---

(١) المستطرف من كلّ فن مستظرف ١/ ٣١٣، جمهرة خطب العرب ١/ ٣٧٤، وصلح الإمام الحسن ٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٣٥، ومقاتل الطالبيين، الإرشاد ٢/ ١٥، والروائع المختارة ٢١.

كـأبي طالـب، ولا المهـاجر كـالطليق، ولا الصـريح كاللصـيق، ولا المحـق كالمبطـل، ولا المـؤمن كالـمُدغِل، ولبـئس الخلـف خلفـاً يتبـع سلفاً هوى في نار جهنم)[١].

وهـذا الخطـاب خطـاب الإمـام الحسـن يقلـق معاويـة ويضـايقه، ولا يريـده، بـل لا يريـد أيّ تـأثير للإمـام بعـد الصـلح، إذ يخشـى أن يبقـى في ذهـن النـاس أنّ الحسـنَ إمـام هـادٍ، عـلى سَـمْتِ أبيـه، وتقـاد النجائب بين يديه[٢].

ويتكرّر نقل مـا تقـدّم مـن روايـة بـاختلاف يسـير، فقـد قيـل: (لمـا قدم معاويـة المدينـة صـعد المنـبر فخطـب، وقـال: مـن ابـن عـلي؟! فقـام الحسن فحمد الله وأثنى عليـه، ثـم قـال: **إن الله عـز وجـل لم يبعـث بعثـاً، إلا جعـل لـه عـدواً مـن المجـرمين، فأنـا ابـن عـلي، وأنـت ابـن صـخر، وأمـك هنـد، وأمـي فاطمـة، وجـدتك قيلـة، وجـدتي خديجـة، فلعـن الله ألأمنـا حسـباً، وأخملنـا ذكـراً، وأعظمنـا كفـراً، وأشـدنا نفاقـاً**، فصـاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله)[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٥/ ١١٧.

(٢) الأخبار الطوال، للذهبي٢٧٨، وصلح الإمام الحسن ٦٢.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ١/ ٢٣١.

ويُروى أيضاً أنّه (لمّا قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب ونال من علي عليه السلام، فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله لم يبعث نبياً إلا وجعل له عدوا من المجرمين فأنا ابن علي وأنت ابن صخر وأنا ابن فاطمة الزهراء بنت محمد، وأنت ابن هند آكلة الأكباد، وجدتك نثيلة [قتيلة] وجدتي خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخملنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقاً. فصاح أهل المسجد: آمين آمين آمين)[1].

و(رُوِيَ أنّه لمّا قدم معاوية المدينة... صعد المنبر فقال: ومن عليّ؟! فقام الحسن، **فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله لم يبعث نبياً إلاّ وجعل له عدواً من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾** (الفرقان: ٣١)، **وأنا ابن عليّ، وأنت ابن صخر، وأمّك هند، وأمّي فاطمة، وجدّتك نثيلة [قتيلة، أو قيلة]، وجدّتي خديجة، فلعن الله ألأمنا حسباً وأخملنا ذكراً، وأعظمنا كفراً، وأشدّنا نفاقاً،** فصاح أهل المسجد آمين ثلاثاً، فقطع معاوية خطبته وفرّ إلى منزله)[2].

---

(١) جواهر المطالب في مناقب علي عليه السلام ٢/ ١٢٠ - ١٢١.

(٢) الإتحاف بحبّ الأشراف ٣٦.

الفارق بين النصّوص:

من ابن عليّ: من عليّ، نال من عليّ.

أو ذكر أمير المؤمنين فنال منه ونال من الحسن.

عدواً من المجرمين: عدواً من المسلمين.

الاستشهاد (عدواً من المجرمين) في الأولى من القرآن:

ومن المسلمين في الثانية.

جدتك قيلة: جدتك نثيلة

مع أنّ كليهما كان في المدينة مثلما ذكر، وكان النصّ الثالث الشبيه بهما قبلهما في الكوفة، والأرجح أنّ الثلاثة نصٌّ واحد. وفي جميعها ردٌّ لتجاوز، وتصحيح لكلام، لا يناسب مقام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ إنّ البون شاسعٌ بين المقامين، ولم يكن من باب المباهاة والفخر، بل هو "في مقام إحقاق الحق وإبطال الباطل، وتنبيه الأمة، ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات: ١٣)، إذ إنّ الميزان هو التقوى فمن كانت تقواه أكثر، كان أقرب إلى الله وأعزّ"[1]، وكلّ من ذكرهم الإمام واستشهد بهم، هم أوائل الأتقياء وخلصاؤهم.

---

(١) آداب من القرآن ٣٠٢.

ويُـذكرُ أنّ معاويـة قـال للحسـن بـن عـلي: (أنـا أخـير منـك يـا حسن، قال: وكيف ذاك يـا ابـن هنـد، قـال: لأنّ النـاس قـد أجمعـوا عـليّ ولم يجمعوا عليك، قـال: هيهـات هيهـات لشـرّ مـا علـوت يـا ابـن آكلـة الأكبـاد، المجتمعـون عليـك رجـلان بـين مطيـع ومُكـرَه، فالطـائع لـك عـاصٍ لله، والمكـرَه معـذور بكتـاب الله وحاشـى لله أن أقـول أنـا خـير منـك فـلا خـير فيـك، ولكـن الله بـرأني مـن الرذائـل، كـما بـرأك مـن الفضائل)[1].

أمّا عبارة: (**إنّ الله عـز وجـل لم يبعـث بعثـاً إلا جعـل لـه عـدواً مـن المجرمين**).

فلتوكيد التقابل بين فريقين:

فريق المبعوث من الله

والآخر: العدوّ لهذا المبعوث

ثمّ نداء لمن شتم، بالتكنية:

أيّهـا الـذاكرُ عليـاً: نـاداه بــ (أيّهـا الـذاكرُ)، و(عليـاً) مفعـول اسـم الفاعـل، فلـم يُسـمِّ المنـادى الشـاتم، تجنبـاً لـذكر اسـمه بـل لم يـذكر الشتم، أو الاستنقاص، صِيانة لأمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) مناقب أهل البيت، لابن شهراشوب ٣/ ١٨٦.

أنـا الحسـن وأبي عـليّ: هـذه الجملـة هـي الغايـة مـن النـداء، وهـي جملة اسـميّة، مؤلفـة مـن مبتـدأ وخـبر، وعُطـف عليهـا مثلهـا: أبي عـليّ، وهذا هو الذكر الثاني للإمام عليّ عليه السلام.

وأنــت معاويــة وأبــوك صــخر، وأمّــي فاطمــة، وأمّــك هنــد، وجـدّي رسـول الله، وجـدّك حـرب، وجـدّتي خديجـة، وجـدّتك قتيلـة (قَيلـة): عشــر جمـل اسـميّة متتابعـة متقابلـة: فـالجملتين الأُوليَـين: (أنـا الحسن وأبي عـليّ) تقابـل (أنـت معاويـة وأبـوك صـخر) وتناظرهمـا، ثـمّ ثلاثة مزدوجة أخرى:

أنا الحسن × أنت معاوية

أبي عليّ × أبوك صخر

أمّي فاطمة × أمّك هند

جدّي رسول الله × جدّك حرب

جدّتي خديجة × جدّتك قيلة

لم تكـن خطبـة معاويـة خطبـة صـلح وتنـاسي مـا حصـل، بـل التمسّـك بـما كـان عليـه مـن مواقـف شـقّت الصـفّ، فلـيس هنـاك مـن دعـوة إلى تنـاسي مـا مـرّ، ولا اجـتماع عـلى جديـد يخـالف مـا سـبقه، بـل خطـاب قـوّة وتسـلّط وإفحـام، يسـتبطن التهديـد والوعيـد، وخـالٍ مـن الحجج العقليّة المقنعـة، ذلـك مـا اضـطر الإمـام الحسـن إلى الـردّ بمنطـق

التساوي والندّ للندّ، وبالحجج الواضحة التي لا اختلاف فيها، والواضحة وضوح الشمس عند المخاطبين بها، إذ كان محورها:

أنا ـ أنت

أبي ـ أبوك

أمّي ـ أمّك

جدّي ـ جدّك

جدّتي ـ جدّتك

وهذه كلّها عند الإمام الحسن رموز لمضمون مركزي هو مضمون الانتماء للرسالة، والانقطاع لها، والدفاع عنها، وبذل الغالي والنفيس من أجلها...

فالمقابلة بين الطرفين المختلفين، جاءت في سياق إظهار الاعتراض الصريح على المبادر بالازدراء والتعالي، وقد اعتمد المعترض جملاً دالّة على التفضيل التي تناسب المقام، وتفضح حقيقة الأدنى، بأربعِ صيغٍ من صيغ المفاضلة، صيغة (أفعَل) ثلاث مرّات، ورابعة بصيغة (فَعْل)، المحوّلة من (أفعَل)، رُكّبت هذه الصِّيغ مع الضمير (نا) العائد على الاثنين: (المتكلم والمقصود بالخطاب): **أخملنا، وألأمنا، وشرّنا، وأقدمنا**، التي تدلّ على المطلوب التفاضل

بيـنهما، وكانـت صـيغة التفضـيل هـذه، متبوعـة بتمييـز منصـوب يميّـز دلاليـاً، الـذي كـان السـبب في المفاضـلة: (ذكـراً)، و(حسَـباً)، و(قـديماً وحديثاً)، (كفراً ونفاقاً):

أخملنا ذكراً

وألأمنا حسباً

وشرّنا قديماً وحديثاً

وأقدمنا كفراً ونفاقاً

ثـمّ أراد الإمـام بعـد هـذا، الوصـول إلى التفاعـل المبـاشر مـع المخـاطبين، وإثـارة المتلقّـين، وإشراكهـم في التمييـز المبـاشر والتحكـيم بـين الفـريقين المختلفـين، إذ قـدّم عـلى صـيغ التفضـيل المكـرّرة هـذه، عبـارة التفاعـل: (**فلعـن الله...**)، فكانـت الاسـتجابة مبـاشرة، وأسـلوب التواصـل مـؤثّراً، والـردّ قويـاً، بعـد قـول الإمـام: (فلعـن الله أخملنـا ذكـراً، وألأمنـا حسـباً، وشرّنـا قـديماً وحـديثاً، وأقـدمنا كفـراً ونفاقاً، أن ضجّ المخاطبون من أهل المسجد: آمين آمين)[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٣٥.

هـذا التنـاظر المعـبّر عـن الفـارق بـين المجمـوعين والفـريقين، الـذي يـدور بمـدار الفـارق بـين مقـام وراثـة النبـيّ صلى الله عليه وآله، وشرف حمـل رسـالته، وبلـوغ أعـلى مراتـب الصـفاء والتُّقَـى، مـن المـذكورين الـذين رفعهـم الله وطهـرهم تطهـيراً، في مقابـل مـن لم يكـن كـذلك، إذ هـي حقائق صريحة واضحة، لا يُتوقّع أن يشكّ فيها المخاطبون بها.

فلعـن الله أخملنـا ذكـراً، وألأمنـا حسـباً، وشرّنـا قـديماً وحـديثاً، وأقـدمنا كفـراً ونفاقـاً: هـذا هـو المضـمون الثالـث، الـذي يـأتي بعـد المقابلـة بـين الفـريقين، الـذي يـردُّ بـه الإمـام عليه السلام عـلى النَّيـلِ مـن أمـير المـؤمنين عليه السلام، فالفـاء: سـببيّة، ولعـن الله: فعـل وفاعـل، أخملنـا ذكـراً: اسم تفضيل متبوع بتمييـز مـثلما قلنـا، عُطِـف عليـه ثلاثـة أسـماء تفضـيل بالواو على النمط نفسـه، متبوعـة بنكـرات منصـوبة عـلى التمييـز؛ فكأنّـه كرّر الفعل والفاعـل مـع كـلٍّ منهـا، واسـتغنى عـن هـذا التكـرار بـالواو أداة العطف:

لعن الله: أخملنا – ذكراً

لعن الله: ألأمنا – حسباً

لعن الله: شرّنا – قديماً وحديثاً

لعن الله: أقدمنا – كفراً ونفاقاً

وقد عطف في الموضعين الأخيرين اسمين آخرين (حديثاً) على (قديماً) و(نفاقاً) على (كفراً).

والاعتراض أو التضادّ في هذه الخطبة كان بالحقائق الواضحة التي لا تقبل التأويل، وبالاستدلال المباشر المنسجم مع جنس الإساءة، ومن نوع ما رُمِيَ به أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نبّه الإمام الخطيب متلقّيه على دليل أهل الحقّ الصارخ، وعلى التواءِ وجهةِ المقابل، وزيف ادّعائه، معتمداً على تنبيه المُتلقّي على الموازنة بين السيرتين، والنظر إلى الفارق بين الرجلين والنهجين، وهو ما يقتضيه مقام المناظرة ويوجبه.

فبعد كلّ هذه الشحناء، وكلّ هذا الوضوح والبيان، في الاحتجاج والجدل والاستدلال: هل كان الإمام تابعاً لمعاوية مثلما يُدَّعى؟

وهل صارت الجماعتان حقاً جماعة واحدة؟

وهل ترك الإمام منهجه وأصحابه؟!

وهل سيكفّ خصمُ الإمامِ عن مناوأته والإساءة إليه؟!

هذا ما سنجده فيما سيأتي...

* *

الخطبة السابعة: خطبة المناظرة في المحاسن والمساوئ

المناظرة من التناظر والتقابل والندِّيّة، وتناظرا تقابلا، والنظير: الشبيه والمثيل، وناظره صار نظيرًا له في المخاطبة، والمناظرةُ: المباحثة، والمباراة في النظر، واستحضار كلِّ طرفٍ ما يراه ببصيرته، والتناظر: التراوض في الأمر[1]؛ فهي من النّظر بالبصيرة، (ومباحثة عقليّة تتم بين جانبين في مهاد خلافي، ومتوخّاها إظهار الصواب)[2]، أو هي (نصّ صغير أو كبير، يعرض حواراً بين شخصين وأحياناً أكثر، كلّ واحد من الاثنين يخالف الآخر في الموضوع المطروح للمناقشة، ويتبنّى فرضيّة تخالف فرضيّة الخصم، ويحاول دعمها بالحجج والبراهين، وإدحاض الآخر وأدلّته... وهي شكل من أشكال الخطاب الاحتجاجي... ونوع أدبيّ... بين أنواع أدبيّة أخرى)[3]؛ وطُبعت الثقافة العربيّة الإسلاميّة بطابع المناظرة، إذ شاعت خطابات: (التهافت) و(الردود) و(النقائض) و(المحاسن)

(١) لسان العرب ٦ / ٤٤٦٥، وتاج العروس ١٤ / ٢٤٩ - ٢٥٤.

(٢) بلاغة الخطاب الإقناعي ١٣٠.

(٣) نفسه ١٣١، نقلاً عن المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، حسين الصديق، القاهرة، ٢٠٠٠، ٦٣ - ٦٤.

و(الأضـداد) و(المعارضـة)... وتناسـلت المـذاهب الفكريـة والفقهيّـة والمـدارس الأدبيّـة والنحويّـة عـلى خلفيّـة التعـارض والاخـتلاف، وحَفَلَ التراث بأخبار عن مجالس المحاورات والمناظرات...)[١].

و(الجـامع بـين الخطابـة والمنـاظرة هـو الخاصـيّة التداوليّـة التـي تجعلهـما مـرتبطتين بمقامـات فكريّـة واجتماعيّـة... كـما يشـتركان في الخاصـيّة الجدليّـة التـي تجعلهـما يتوخّيـان الإقنـاع، إلاّ أنّ المنـاظرة عكسـت تطـوّراً لاحقـاً لفـن الخطابـة. إنّهـا خطابـة مشـبعة بالمحاججـة الفكريّـة والمذهبيّـة، لـذلك سـيكون مـن المناسـب اعتبارهـا خطابـة الرقيّ العقليّ ومجتمع المدنيّة والعمران)[٢].

ووضعوا للمناظرة أربعة شروط لابُدّ من توافرها، وهي وجود:

١ - طرفين متناظرين.

٢ - قضيّة أو موضوع للحوار والمحاججة في النّدّيّة والمنافسة.

٣ـ لا بُدّ مـن نتيجـة تنتهـي إليهـا المنـاظرة هـي إمّـا إفحـام المـدّعي أو إلزام الخصم.

٤ ـ قواعد وآداب[٣]، ولغة واضحة في الإرسال والاستقبال.

---

(١) نفسه ١٣٣.

(٢) نفسه ١٥١.

(٣) بلاغة الخطاب الإقناعي ١٧١.

وكانت مناظرة الإمام الحسن عليه السلام قد احتلّت أكثر من نصف صفحات فصل (محاسن المفاخرة) من كتاب الجاحظ الموسوم بـ (المحاسن والأضداد)، وكانت فصلاً من فصول (المحاسن والمساوي) لإبراهيم بن محمد البيهقي[1] أسماه (محاسن كلام الحسن عليه السلام)، وكانت هذه المناظرة في مواجهة أساطين الفريق الأموي المؤلف من: عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وزياد المدّعَى إلى أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وذكر الجاحظ المعروف بميله المرواني إلى أنّ المجلس كان عند معاوية، والجاحظ يعرض ما يُفاخر به أحد الفريقين الآخر، وهذا ما جاء في هذا الكتاب، قال عمرو بن العاص: (يا حسن، إنّا تفاوضنا، فقلنا: إنّ رجال بني أميّة أصبر عند اللقاء، وأمضى في الوغى، وأوفى عهدًا، وأكرم خِيمًا، وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب!؛ ثمّ تكلم مروان بن الحكم فقال: كيف لا نكون كذلك وقد قارعناكم، فغلبناكم، وحاربناكم فملكناكم، فإن شئنا عفونا، وإن شئنا بطشنا!؛ ثمّ تكلم زياد فقال: ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله، ويجحدوا الخير في مظانّه، نحن أهل الحَملة في الحروب؛ ولنا الفضل على سائر الناس قديماً

---

(١) المحاسن والمساوي ٧٣ - ٧٤.

وحديثاً. فتكلم الحسن عليه السلام فقال: **ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة، ولكن من الإفك أن ينطق بالخنا، ويصوّر الكذب في صورة الحقّ، يا عمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الأفك، ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة، أبديها مرّة بعد مرّة، أتذكرُ مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وفرسان الطراد وحتوف الأقران، وأبناء الطعان، وربيع الضيفان، ومعدن العلم، ومهبط النبوة؟ وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم، وقد تبيّن ذلك يوم (بدر)، حين نكصت الأبطال، وتساوت الأقران، واقتحمت الليوث، واعتركت المنيّة، وقامت رحاها على قطبها، وفرّت عن نابها، وطار شَرار الحرب، فقتلنا رجالكم، ومَنّ النبيّ صلى الله عليه وآله على ذراريكم، وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب**[1].

وهناك اختلاف يسير بين نصّ (المحاسن والأضداد) ونصّ (المحاسن والمساوي)[2]:

ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة: ليس من العجز...

(١) المحاسن والأضداد، للجاحظ ١٢١ - ١٢٢.

(٢) المحاسن والمساوي ٧٣ - ٧٤.

ويصوّر الكذب في صورة الحقّ: ويصوّر الباطل في صورة الحقّ.

أبديها مرّة بعد مرّة: أبديها مرّة وأمسك عنها أخرى.

وزاد البيهقي على ما تقدّم: (فتأبى إلاّ انهماكاً في الضلالة).

ومعدن العلم، ومهبط النبوة: ومعدن النبوّة ومهبط العلم.

وفرّت عن نابها: وافترّتْ عن نابها.

لكـنْ أيعقـلُ - بعـد كـلّ الـذي عرضـنا مـن سـماحة الإمـام، وتجـاوزه عمّـن يسـيء إليـه - أن يستجيب هـذا الإمـام عـالي الهمّـة لمجـرد المفـاخرة وإثـارة الخصـومة والبغضـاء والشـحناء، أم أراد أشـياء أبعد من ذلك؟

يجيـب الصـلابيُّ: إنّ الإمـام بلـغ ذروة السيادة (وكـان يـردّ عـلى المعتقـدات الفاسـدة، ويهـتم بقضـاء حـوائج النـاس، ويغـار عـلى نسـبه النبـويّ الشـريف، ومعاملتـه لمـن يسـيء إليـه، وحسـن خلقـه بـين الناس، وبعده عن فضول الكلام)[1].

فقد ارتفـع الإمـام بالمنـاظرة مـن كونهـا ذاتيّـة شخصـيّة نَسَـبِيّة، إلى دفعهـا لأن تكـون موضـوعيّة دعويّـة نبويّـة، فهـو (**يعـرف مثالـب خصـمه الخبيثـة) الكثـيرة** لكنّـه لا يريـد الغـوص فيهـا، إذ إنّ مواضـع

---

(١) أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ ١١.

الفخر الأهمّ عنده هي:

(مصابيح الدجى، وأعلام الهدى... ومعدن العلم، ومهبط النبوة).

وكان ردّ الإمام ذكياً مختصراً مستدلاً بأهمّ موقعة تاريخية فاصلة ممّا واجه المسلمون، تلك هي معركة بدر التي تفضح مُدّعيات الخصوم:

الادّعاء: رجال بني أميّة: **أصبر على اللقاء**

أمضى في الوغاء

أوفى عهداً

أكرم خِيماً: أكرم طبيعة وسجيّة(١)

أمنع لما وراء ظهورهم

الردّ: زعمتم أنكم: **أحمى لما وراء ظهوركم**

وقد تبيّن ذلك يوم (بدر)

قتلنا رجالكم

ومَنَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله على ذراريكم

وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم

---

(١) لسان العرب ٢/ ١٣٠٩.

وسياق الردّ فيما تقدّم سياق تهكّميّ ساخر، أي يقول شيئاً ويُلوّح إلى ما يخالفه، فما يقوله لا يريده بل يريد عكسه، إذ إنّ الإمام لا يعيدُ بألفاظه صدى ما يدّعون، ويرفض نسبة ما ينسبون، فسلسلة صيغ التفضيل المتتابعة يقلب معناها ليصطدم هذا القلب بقوله: **وقد تبيّن ذلك يوم (بدر)**، فينتهي التهكّم، ويبدأ بذكر ما يقابل مُدّعياتهم، لكنّه يختم ما يجمع بين الواقع والتهكم، في قوله: **وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم**.

فيُلحظ أنّ الإمام استهجن حجج خصومه التي تقلب الحقائق، ولم يكن بحاجة إلى ردّ أربعة مُدّعيات متهافتة منفصلة، لأنها لا تستحقّ الردّ بالنفي مثلاً، إذ كانوا على وفق ادّعائهم: **أصبر على اللقاء، وأمضى في الوغاء، وأوفى عهداً، وأكرم خيماً**، ليَرُدَّ المُدّعى الخامس الذي هو: (**أمنع لما وراء ظهورهم**)، بإظهار التناقض، بين القول والفعل، استنادًا إلى واقعة فاصلة يعرفونها ولا يمكن أن يجادلوا فيها، والربط بها أنها كانت معركة تثبيت الإسلام، في قوله: (**قتلنا رجالكم، ومنّ النبيّ ﷺ على ذراريكم**)؛ ذلك في إطار من السخرية والاستهزاء بحججهم، في قوله: (زعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم، قتلنا رجالكم، ومنّ النبيّ ﷺ على ذراريكم،

وكنتم لعمري في هذا اليوم، غير مانعين لما وراء ظهوركم)، وقد استعان الإمام بالمعنى الروحي الكبير الذي تحمله معركة بدر، وكذلك بعبارات لغويّة مناسبة، لهذا الردّ، أعني:

زعمتم أنكم أحمى...

وكنتم لعمري ... غير مانعين...

ولم يَقُل الإمام: (قلتم أو ذكرتم: أنكم أحمى...)، (فإنّما يُقال ذلك لأمر مُستيقن أنّه حقٌّ، وإذا شكّ فيه فلم يُدرَ لعلّه كَذِبٌ أو باطلٌ، قيل: زعم... قوله تعالى: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا**﴾ (التغابن: ٧) حتى قال بعض المفسرين، الزعم أصله الكَذِب، وقوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا هذا لله بِزَعْمِهِمْ**﴾ (الأنعام: ١٣٦) أي بقولهم الكذب)[١].

ففيما تقدم عبارات حواريّة عقلانيّة واضحة تتخطّى أثر المغالطات المعيبة.

ويُلحظ أيضاً أنّ هؤلاء الخصوم يستندون إلى قوّة السلطة، في الترويج لتفوّقها وعلوّ مكانتها، وإلى المغالطات التهديديّة[٢] المحرجة

(١) لسان العرب ٣/ ١٨٣٥، وتاج العروس ٣٢ / ٣١٢.

(٢) تاريخ نظريّات الحجاج ٧٩.

لموقف الإمام، وقد انتزع المحاججون فضائل الخصم وادّعوها للسلطان بحضوره، وفي مجلسه، وأمام مريديه، فكانت وظيفة المناظرين المفاخرين هنا هي الإعداد لهدم ما ينتسب إليه الإمام من فضائل، ومحاولة نقلها إلى السلطة المناوئة، وترسيخ ادّعاءاتها، في أذهان المتلقّين؛ وتأسيس خطاب يقنع جمهورهم ويسيطر على فهمهم ووعيهم، فواجبهم وتكليفهم وهمّهم هو إثبات أحقّيّة من ينتصرون له، والدفاع عن شرعيّته، فوظيفة هؤلاء المناظرين فيما نحن فيه هي مهاجمة الخصم، والنيل منه، وتوهين آرائه، والتشويش عليه، ونقض مواقفه، في مقابل تثبيت ذرائع من ينتصرون له، فالخطاب خطاب سلطة يحاول إقناع أتباعه ومريديه بصواب مسيرته، في الدفاع عن واقعه الجديد وحكومته التي يراد لها أن تمتلك الكمال المطلق والنموذج.

ومثل هذا الخطاب من خطابات هذه السلطة وإعلامها المزيّف ما (طوّق علياً عليه السلام بتهمة طلب الملك من وراء تلك الحربين [الجمل وصفّين] وأنّه آوى قتلة عثمان، واستعان بهم، وأنّه أفسد في الدين وأنّه لا يصلّي وغير ذلك من الشبهات التي كان قصّاصوه يقصونها على الناس بعد الصلاة، واستطاع أن يحصّن أهل الشام من

التأثر بمشروع عليّ عليه السلام)[١].

ومن هذه الشبهات ما كان يردّده يوحنّا الدمشقيّ منصور بن سرجون (ت ١٣٢هـ) الذي عاش في قصور الأمويين وخدمهم، و(-الذي تصدّى للإسلام في وقت مبكّر بوصفه هرطقة مسيحيّة- كان يردّد بأنّ أفكار وقصص القرآن مستقاة من التوراة والإنجيل، وحتى يبدو هذا الاتهام معقولاً، كان لا بُدّ من التشكيك فيما بعد في عدم ممارسة النبي محمد صلى الله عليه وآله للقراءة والكتابة، ليقال إنّه صلى الله عليه وآله قرأ التوراة والإنجيل، واستلّ منهما ما ورد في القرآن بعد إعادة صياغته بلغة عربيّة فصيحة)[٢].

وينبّه الشيخ محمود أبو ريّة إلى وجود أجواء مريبة ناصرت البلاط الأموي في إشارة إلى كعب الأحبار الذي تنبّأ لمعاوية بالخلافة بعد عثمان والذي كان يبثّ الخرافات والإسرائيليّات، ومثله تميم بن أوس الداري راهب أهل عصره، وعابد أهل فلسطين، وهو أوّل

(١) صلح الإمام الحسن ٤٧، وينظر مناقب آل أبي طالب ٢/ ٣٦٦.
(٢) محطّات في تاريخ القرآن ١٩.

من أسرج السـراج وقـصّ القصـص[1]، وفي قـول أبي ريّـة: (وممّـا يلفـت النظـر ويسـترعي الفكـر أنّنـا نجـد هـؤلاء الكهـان جميعـاً مـن اليهـود والنصـارى وذوي الهـوى مـن المسـلمين يتحوّلـون كلّهـم إلى الشـام بعـد مقتـل عـثمان؛ ويبـدو أنّ هـذا التحـوّل لم يكـن لله، وإنّـما كـان ذلـك ليتعاونوا على نشـر الفتنـة، وليشـعلوا نـار البغضـاء بـين المسـلمين، لكـي تنضـج دولـة الأمـويين، ويتمـزّق شـمل المسـلمين... [فغـايتهم خدمـة السلطة] لأنّ علياً هـو ابـن عـمّ رسـول الله ﷺ الـذي أرصـد لـه هـؤلاء الكهّان، كلّ قواهم لمحاربة شريعته)[2].

أمّا هـؤلاء المنـاظرون فهـم أسـاطين الدولـة وحمـاة السـلطة –مـثلما قلنـا– يَسِـمُون مـن يخالفهـا بالقصـور والانتسـاب إلى الدونيّـة، وامـتلاك ولاة أمـرهم الأفضـليّة والسـيادة والنفـوذ، داعمـين هـذا الاختيـار السـياسي، الـذي سـيُكتبُ لـه الديمومـة والبقـاء، بوصـفه الأقوى، وقد نـاصر هـذا التوجـه أدوات كثيرة منهـا مـا ذكرنـا، وإعـلام مموّل يشارك في تكـريس أطروحتـه، ويـدعم وجـوده في صراعـه مـع مـن يخالفُـه ويُناوِئُـه، ليجعلـه مهيمناً عـلى غـيره، وكـأنّ مـدَّعيات المنـاظرين

(١) أضواء على السنة المحمديّة ١٥٣.

(٢) نفسه ١٥٥.

- في هـذه الأجـواء - هـي الحقـائق التـي لا حاجـة بهـا إلى دليـل، فـلا يمكـن بحسـبهم أن تنـافس أو تنـاقش، عـلى الـرغم مـن معرفـة هـؤلاء أنفسـهم بحقيقـة مـا صـنعوا، وبمثـل هـذا وغـيره تـتمكن السـلطة مـن التـأثير في قناعــة الجمهــور وتوجيهــه، ومــن ثَــمَّ تحفيظــه الخطــاب المصنوع، بكثرة تكـراره بكـلّ مـا تمتلـك مـن وسـائل التكييـف والجـذب والتـأثير، مـن بلاغـة، وفصـاحة، وجملـة آداب، وفنـون... إلـخ، فضـلاً عن القوة بجميع أشكالها الماديّة والمعنويّة.

وقـد مـنح بعـض الخطبـاء هـؤلاء الخلفـاء الأفضـليّة حتـى عـلى الرسـول ﷺ - والعيـاذ بـالله - (لأنّ الرسـول يقـوم بتبليـغ رسـالة ربّـه فحسـب، ولكـنّ الخليفـة مخـوّلٌ لـه التصـرّف نيابـة عـن موكّلـه... وفي بـدايات العهـد الأمـويّ عنـدما ذكّـرَ أحـدهم معاويـة أنّـه فـانٍ - كمـن سـبقه مـن الأنبيـاء والخلفـاء - فـإنّ المتحـدّث عَـدَّ تسـاوي المكانـة فـيما بـين الأنبيـاء والخلفـاء مـن المُسـلّمات... [وفي إجابـة عـن سـؤال:] مَـنِ الأعلى شأناً؟ خليفـة الله في أهلـه، أم رسـوله إلـيهم؟ فقـد زعـم صراحـةً أنّ الله خصّ أمير المؤمنين بمكانة أعلى من مكانة أنبيائه!!)[1].

وربّما لمثـل هـذه الـنماذج وهـذا الإطـار كـانوا قـد وصـفوا (الثقافـة

---

(١) خليفة الله ٦٢ ـ ٦٣.

العربيـة الإسـلاميّة - أنّهـا - ثقافـة قائمـة عـلى القواطـع العقديّـة، التـي تَحفَـظُ للفـاعلين الاجتماعيـين سـيرورة وجـودهم، وتعلـق خطابـاتهم النجاعــة والنفــوذ... لــذلك اغتصــبت إرادة الجمهــور، وروّضــت ملكاتـه... مـن خـلال مـزاعم القـويّ، الـذي أقنـع بخطابـه واستنصـر بحماتـه، فحـقّ لـه كتابـة قواعـد فهـم الأمـة الأسـلم، وصـياغة سـنن التبالغ الأقوم)؟!(١).

وخطــورة مــا تقــدّم مــن مغالطــات وفضــائح، أنّهــا واضــحة التهافت والتعـارض والتنـاقض، وأنّهـا صـدرت عـن أُنـاس لا يُعقـل أن تصـدر عـنهم، لقـرب زمـن ادّعائهـا وتزييفهـا، وكثـرة مـن يشـهد عـلى بطلانهـا، فكيـف بـما تـراكم - فـيما بعـد - مـن خـبرات، وتضـاعف مـن إمكانــات، وابتعــد في الزمــان والمكــان؟! كــان قــد وجههــا الحكــام لمصـلحتهم وتثبيـت سـلطانهم، ورعوهـا في الأزمـان اللاحقـة لترسـيخ ما يريدون!

ومــن الشـعور بهــذه الخطـورة مــا اضــطرّ الإمــام الحســن إلى ردّ ادّعــاءات هــؤلاء المــدّعين، ونقـض مضــامين مــا كــانوا قــد عرضــوه، وإبطـال مـا ذكـروه مـن تزييـف لوقـائع معروفـة، وتكـذيب لمـا سـطّروه من فضائل لا أصل لها.

(١) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل ٤٨٤ - ٤٨٥.

ومعروف أيضاً عن الإمام أنّه كان يتجاوز عمّن يسيء إليه إساءة شخصيّة مثلما عرضنا سابقاً، لكنّه أدرك أنّ القضيّة ليست لمجرّد المفاخرة الشخصيّة، بل يُراد لها أن توظف في غايات سياسية وعقدية بعيدة، في قوله: (ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة، ولكن من الإفك أن ينطق بالخنا، ويصوّر الكذب في صورة الحقّ، يا عمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الأفك، ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة)[1].

مراجعة نصّ الخطبة:

قال: ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة:

الحزم: جودة الرأي وشدّ الشيء وجمعه[2]، إذ يسوّغُ الإمام لنفسه الردّ في مقامه الصعب، لأنّه يرى أنّ الصمت من الضعف وفساد الرأي ولاسيّما أنّ المدّعي قد أورد حججاً.

وتقدير الجملة عند النحويين: (ليس الصمتُ من الحزم)، بإظهار المصدر الصريح من المصدر المؤوّل (أن يصمتَ الرجُلُ) اسماً لـ (ليس)، وعند إيراد الحجة: ظرف متعلق بالفعل (يصمت).

و(**الحزم**): هي الكلمة التي ستكون مدار الخطبة، ويقابلها

(١) منهاج البراعة ١٩/ ١٤٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٥٣ - ٥٤.

(الإفك) للطرف الآخر، وفي الجملة اللاحقة.

ولكنْ من الإفك أن ينطق بالخنا ويصوّر الكذب في صورة الحقّ:

وقد قابل هذه الجملة بسابقتها مسبوقة بالاستدراك بـ (لكن).

فـ (**من الإفك**) تقابل (**من الحزم**)

و (**أن ينطق**) تقابل (**أن يصمت**)

و(**يصوّر الكذب في صورة الحقّ**)

فقد استدرك بأن لا يكون احتجاج المدّعي بالكذب والفحش والباطل، ثمّ جاء بجملة: (**يصوّر الكذب في صورة الحقّ**)، إذ من أساسيّات الحوار والتناظر الصحيح، أن يُلتزمَ الصدقُ والحقّ، أمّا قلب الحقائق وإخراج الباطل مخرج الحق، فهذا من الإفك والخنا؛ وبهذا القلب حاجة إلى تسويغ وتمويه وقدرة بيانيّة حتّى يظهر بمظهر الحقّ، (وقد أجمع أهلُ البلاغة على أنّ تصوير الحقِّ في صورة الباطل، والباطل في صورة الحقّ من أرفع درجات البلاغة... [فعن رسول الله:] "إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشعر لحكماً، وإنّ من العلم لجهلاً"... تكلّف العالم القول فيما يجهله... و "إنّ من البيان

لسـحراً"، أنّ البليـغ يبلـغ ببيانـه مـا يبلـغ السّـاحر بلطافـة حيلتـه في سـحره)(١)، فهـؤلاء المنـاظرون عنـد الإمـام يزينـون الباطـل، ويقلبـون الحقـائق إلى غـير مـا هـي عليـه، وقـد أفـادوا مـن كـلّ مـا عنـدهم مـن إمكانات فرديّة، وكذلك ما هُيّـئ لهـم مـن أجـواء تسـاعدهم عـلى الغلبـة والتفوّق.

يـا عمـرو افتخـاراً بالكـذب وجـراءة عـلى الإفـك: ينـادي الإمـام شانئه باسمه (**يا عمرو**) للفت نظر المخاطب وتنبيهه وكذلك غيره.

افتخاراً بالكذب: بتقدير: أتفتخر افتخاراً بالكذب

وتجرؤ جراءة على الإفك

فـالمفعول المطلـق (افتخـاراً) نائـب عـن فعلـه في الموضـعين، وحـذفُ الفعـل وإنابـة مصـدره منابـه أبلـغ وآكـد في القـول لأنّـه يؤكـد المضمون، ويقوّي الجملة.

ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة، أبديها مـرّة بعـد مـرّة: أي استمررتَ تظهر مثل هذه المثالب، وأنا أكشفها وأظهرها مرة بعـد أخـرى، ذلـك فـيما يبدو لكثرتها من جهة، ولإصرار المدّعي على العناد والمعاداة والمخالفة.

---

(١) جمهرة الأمثال ٢١.

أتـذكرُ مصـابيحَ الـدجى، وأعـلامَ الهـدى، وفرسـانَ الطـراد، وحتـوفَ الأقـران، وأبنـاءَ الطعـان، وربيـعَ الضـيفان، ومعـدنَ العلـم، ومهـبطَ النبـوة؟! سـيل متتـابع مـن الفضـائل والمحاسـن والمفـاخر يذكرها الإمام، وقد حذف ما يـتمّم هـذا التتـابع لأنّـه معلـوم، وجـاء بــ (أتذكر)، ولم يقل أتنسى لأنّه أبلغ وأدل.

أتـذكرُ مصـابيح الـدجى؟، أي أتـذكر الموصـوفين بهـذه الأوصـاف العظيمـة، بهـذا الـذكر وهـذا الكـلام؟! فكيـف تـوازن غـيرهم بهـم، ومعلـوم أن (لا يُقـاس بـآل محمـد ﷺ مـن هـذه الأمّـة أحـد... هـم أسـاس الـدين، وعـماد اليقـين)[1]. (ورُوي مسـنداً إلى رسول الله ﷺ أنّـه قـال نحـن أهـل البيـت لا يقابـل بنـا أحـد مـن عادانـا فقـد عـادى الله ومـن والانـا وائـتم بنـا وقبـل منـا مـا أوحـى الله تبـارك وتعـالى إلينـا وعلمنـا الله إيـاه وأطـاع الله فينـا فقـد والى الله ونحـن خـير البرية وولدنا منا)[2].

وهـذه الأوصـاف هـي أوصـاف الكـمال، وهـي مقامـات أهـل البيـت التـي لا ينـازعهم فيهـا أحـد؛ وكـأنّ المخـاطبين صـاروا لا

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ١١٠.

(٢) إرشاد القلوب ٢/ ٤٠٤.

يميّـزونهم، وأنكـروا أنمـوذجهم الكبـير الـذي هـو بيـنهم سـبط رسـول الله، وهـــو نفســـه ســـيّد شـــباب أهـــل الجنّـــة الحســـن عليه السلام؛ وكـــان أوّل الأوصاف (مصابيح الدجى) وختم بـ (مهبطَ النبوة).

وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم

وقد تبيّن ذلك يوم (بدر) حين نكصت الأبطال:

الخطـاب لجميـع المفـاخرين القـادحين الشـانئين، ولـيس لواحـد منهم:

زعمـتم: ادّعيـتم كـذِباً أنكـم تحمـون، وقـد تبـيّن ذلـك الكـذب وذلك الادّعاء، وعبـارة (قـد تبـيّن) مـن بـاب السـخرية مـن ادّعـائهم إذ لم يكونـوا إلاّ مهـزومين مكسـورين، ويتضـح مـن قولـه لاحقـًا: و(كنـتم لعمـري في هـذا اليـوم غـير مـانعين لمـا وراء ظهـوركم مـن بنـي عبـد المطلب).

فقابل فيها بين: (زعمتم) و (كنتم)

وبين: (يوم بدر) و (هذا اليوم)

لكنّـــه كـــرّر عبـــارة (وراء ظهـــوركم) نفســـها مســـبوقة في المـــرّة الأولى بـ (أحمَى).

وفي الأخـرى مـا ينـاقض أحمـى أي (غـير مـانعين)، عـلى سـبيل الاستهزاء والتهكم.

ولّما كـان لا بُـدّ للمنـاظرة مـن غايـة ونتيجـة (تقـود إلى "الإفحـام" أو إلى "الإلــزام"؛ يقــول طــاش كــبري زاده موضّــحاً ذلــك، لا يخلــو البحث عن أمرين، إمّـا أن يعجـز المعلّـل عـن إقامـة الـدليل عـلى مُـدّعاه ويسكت عـن المنـاظرة، وذلـك السـكوت هـو الإفحـام في اصـطلاحهم، أو يعجـز السـائل عـن التعـرّض للمعلّـل، وذلـك العجـز هـو الإلـزام على اصـطلاحهم، هكـذا يتجـاذب القبـول والـرفض... الـذي يقـود إلى رجحان أو انتصار موقف على آخر)[١].

والواضـح أنّ خصـم الإمـام الحسـن كـان قـد عجـز عـن إقامـة الدليل عـلى مُـدّعاه، وسـكت عـن مواجهـة مـا كـان مـن ردّ مبـاشر عـلى جميع دعاواه.

ولّمـا لم يُسَـلِّمْ المكـابرون المعانـدون، لِمـا انتهـت إليـه المنـاظرة، وقـد انقطعوا عمّا وُوجهـوا بـه مـن دلائـل، وعجـزوا عـن المواصـلة في الـدفاع عـن دعـاواهم، التـي لا أسـاس لهـا، وقـد هُـدِمت هـذه الأفضـليّة التـي فــاخروا بهــا، وانتهــت بإفحــام مُــدّعيها وإســكاته، وأن لا ســبيل إلى إقــرارهم، ولا إلى تسـليمهم، ولا إلى تــراجعهم، اسـتناداً إلى أنّ المُـدّعِي المنــاظِر ينفّــذ رغبــات الســلطة المُلزمَــة بالتنــازل والإقــرار، فيتعــذّر

---

(١) بلاغة الإقناع في المناظرة ١٧١.

والحالة هذه إلزام الخصم الذي هو الخصم والحكم في آن معاً، لأنّ السلطة لن تفرّط بادّعاء تمثيل شرعيّة الدولة الدينيّة، ولا تكتفي بغيرها في جميع الأحوال، لكنّ سكوت مناظري الإمام الحسن هو جواب في هذه المناظرة، اعترفوا أم لم يعترفوا.

ويمكن أن نستشهد لما نحن فيه من اختتام مناظرة الإمام الحسن للفريق الأمويّ بمثلها من المناظرات المفتوحة النهاية، من التي تنتهي بسكوت أحد طرفي المناظرة، الذي يمتنع من الردّ، فيما يصطلحون عليه بمصطلح (متوالية الإغلاق) ذلك ما جاء في كتاب بلاغة الإقناع: فيذكر المؤلف عبارات لتوقّف هؤلاء المناظرين عن مواصلة المناظرة، تقابل استعمال هذا المصطلح، مناظرات تنتهي بعبارات تدلّ على الإغلاق وتناسب المقام الذي نحن فيه من هزيمة المقابل:

هي عبارة (السكوت) كان في آخر إحدى المناظرات.

أو عبارة (العجز) في آخر مناظرة ثانية.

أو عبارة (الإفحام) في آخر مناظرة ثالثة.

أو عبارة (الانقطاع) في آخر مناظرة رابعة.

أو عبارة (البَهَتُ) في آخر مناظرة خامسة.

أو عبارة (افتقاد الجواب) في آخر مناظرة سادسة.

أو عبارة (سقوط الاستدلال) في آخر مناظرة سابعة[1].

أمّا تداول هذه المناظرة وشيوعها، وانتقالها جيلاً بعد جيل، فذلك هو الانتصار الحقيقي لها، وهو الثابت في حفظها وتداولها، وأمّا الحكم أو الإلزام فسيكون للمتلقّي - أيّ متلقٍّ - لأنّ أدلّتها واضحة في الزمان والمكان.

فهل مثل هذا النّص من دلائل الرضا بين الإمام وخصومه؟!

وهل مضمون هذه المناظرة من التوافق بين الفريقين المختلفين؟!

لكن سنجدُ الفريق المناظر سيبحثُ عن موضوع آخر يُناظرون به الإمام...

ربما يكون أشدّ من سابقه...

* *

(١) نفسه ١٩٨ - ١٩٩، عن عيون المناظرات لأبي عمر السكوني، تح سعد غراب، تونس ١٩٧٦، ص٢١٧ - ٢٤٩.

الخطبة الثامنة: مناظرة ردّ الاعتبار لمنهج أمير المؤمنين عليه السلام

إنّ أبرز دواعي هذه المناظرة هو ما عزم عليه فريق خصم الإمام الحسن بن علي عليهما السلام من شتمه وكَيْلِ التُّهَمِ لوالده، وهذا صريح في قولهم: (لنسبَّه ونسبَّ أباه، ونعيِّرَه ونوبِّخه ونخبره أنّ أباه قتل عثمان ونقرّره بذلك، ولا يستطيع أن يُغيّر علينا شيئاً من ذلك!)[1]، وعزم هذا الفريق على منع الإمام من أن يذكر أباه بما يستحقّ، ولا يسمح له أن يقولَ فيه ما يصُدّقُه الناس، إذ ما زالت مكانة الإمامين عند هؤلاء الناس هي هي، إذ يقصدون الحسن، ويأمرُهم فيطيعونه، وهذا مصدر من مصادر الخطر الأكيد - فيما يتصوّرون - على دولتهم، والإساءة إليها؛ لذلك اندفع الساعون إلى تثبيت السلطان الأمويّ على رقاب المسلمين، بالقسر والإرهاب والمكر والخداع، مستندين إلى الحقّ المتخيّل، الذي جلبته قوّة السلطة، واثقين من أثرها وعلوِّ صوتِها، وإمكاناتها في إسكات المخالفين لها، وعبّروا عن هذه الثقة بقول أحد الداعين إلى هذه الخطبة مثلما سنعرض:

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٦٧.

أتخشى أن يأتي باطله على حقنا؟

أوَ يَربَى قوله على قولنا؟

ويجد المتتبع أنّ إعلام السلطة الذي أعدّ للمناظرة حاول امتصاص النقمة بإبداء المرونة، وقد ترك حيّزاً من حريّة الردّ للإمام، لتضفي هذه الحرّيّة شيئاً من الشرعيّة أو الإنصاف والموضوعيّة، ومنها السماح بالمناظرة وإبداء الرأي، لأننا سنجد فيما بعد لا رأي ولا مناظرة، ومن ذلك أيضاً إظهار تمنّع وليّ الأمر، لكنّ الغاية واضحة وهي تسويق المغالطات، وإجبار الإمام الحسن على الإقرار بمشروعية ما يريدون، أو في الأقلّ ادّعاء ذلك، أو تزويره، في أجواء ما يمكن أن يشيعه الإعلام، فمن العبارات التي تشير إلى التردّد والحريّة والموضوعيّة والإنصاف، القول:

(**إني لا أرى ذلك ولا أفعله**)، التظاهر بعدم الرضى عن دعوة الإمام.

(**قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن**).

(**فقال: ويحكم لا تفعلوا!**).

(**إن بعثت إليه لأنصفنّه منكم**)، كأنّه أُجبِر على دعوته، لذلك وضع شرطاً.

(**أمّا إني إن بعثت إليه لآمرنّه أن يتكلم بلسانه كله**)، وهذا هو الزعم الثاني.

أمّا الشرط أو الزعم الثالث فهو التظاهر بمنع التشويش على ما سيقول، (**أمّا إذ عصيتموني وبعثتم إليه، وأبيتم إلّا ذلك فلا تمرضوا له في القول**)، أي لا توهنوا وتضعّفوا[1] وتزيفوا ما يقول.

وكأنّ ما يفعله هذا الإعلام هو في غير رغبة السلطان، ولا في مصلحة تثبيت سلطانه.

وقد حُذِّر الذين استعدّوا للمناظرة من إمكانات من سيناظرون، ووجّهوا بالتركيز على هدف محدّد: (**اعلموا أنهم أهل بيتٍ لا يعيبُهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن اقذفوه بحجره تقولون له: إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله**).

فالخشية من تأثير الإمام الحسن واضحة، ومن توقّع أن يغلبهم وارد أيضاً، ومن باب الحيطة وإحكام التوجّه كانوا قد أكّدوا توصية المناظرين أن لا يبتعدوا عن هدف المناظرة، لأنّه مؤثّر في مجتمع المسلمين، واستقرّ عندهم (**أنّه لا يقول إلا صدّقه الناس، ولا تقولون له شيئاً إلا وكذّبكم الناس**).

ومن إتمام ما سَعَوا إليه في كسب ودّ الحضور والمجتمع في أجواء التهيئة والبدء أظهروا احترام مَقْدَمِ الإمام الحسن: (**فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه**).

---

(١) لسان العرب ١٩/ ٥٦.

ومن ذلك أيضاً إظهار التودّد بنداء الإمام الحسن بكنيته: (**يا أبا محمد: إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني!**).

(**يا هذا: إنّي كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإنّ لك منهم النِّصف ومنّي، وإنّ ما دعوناك لنقرّرك أنّ عثمانَ قُتِل مظلوماً وإن أباك قتله! فاستمع منهم ثم أجبهم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكلّ لسانك!**).

فيبدو أنّ داعي المناظرة ومضمونها هو ابراز اتّهام أمير المؤمنين: (**إنّ عثمانَ قُتِل مظلوماً وأن أباك قتله**) وهذا هو إطار التأسيس لتنظير شرعيّة خلافتهم، فضلا عن التوهين والتغليط، وتشويه الصورة، وقلب الحقائق، بما أمكن من المزاعم، وقد نبّه على هذا التوجّه وما نجم عنه من انحراف كثير من المنصفين الذين لا يمكن أن يحسبوا على الطرف الآخر، من مثل قول المقريزي: (لا بُعْدَ أبعدَ ممّا كان بين بني أمية وبين هذا الأمر، إذ ليس لبني أمية سبب إلى الخلافة، ولا بينهم وبينها نسب، إلّا أن يقولوا: "إنّا من قريش" فيساوُون في هذا الاسم قريش الظواهر، لأن قوله صلى الله عليه وسلم: "الأئمة من قريش" واقع على كل قرشيّ؛ ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة، وما يدّعيه كل جيل معلوم، وإلى كلّ ذلك قد ذهب الناس: فمنهم من ادّعاها لعلي بن أبي طالب عليه السلام باجتماع

القرابة والسابقة والوصية بزعمهم؛ فإن كان الأمر كذلك فليس لبني أمية في شيء من ذلك دعوى عند أحد من أهل القبلة؛ وإن كانت إنما تنال الخلافة بالوراثة، وتستحق بالقرابة، وتستوجب بحق العصبة، فليس لبني أمية في ذلك متعلق عند أحد من المسلمين؛ وإن كانت لا تنال إلا بالسابقة، فليس لهم في السابقة قديم مذكور، ولا يوم مشهور، بل لو كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم ما يستحقون به الخلافة، لم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع؛ كان أهون وكان الأمر عليهم أيسر، فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوته النبي صلى الله عليه وسلم وفي محاربته وفي إجلابه عليه وفي غزوه إيّاه، وعرفنا إسلامه كيف أسلم، وخلاصه كيف خلص، على أنه إنما أسلم على يد العباس رضي الله عنه، والعباس هو الذي منع الناس من قتله وجاء به رديفًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وسأل أن يشرّفه، وأن يكرمه، وينوّه به، وتلك يد بيضاء ونعمة غراء، ومقام مشهور، وخبر غير منكور. فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا علياً، وسموا الحسن، وقتلوا الحسين، وحملوا النساء على الأقتاب حواسر، وأرادوا الكشف عن عورة علي بن الحسين حين أشكل عليهم

بلوغه، كما يصنع بذراري المشركين إذا دخلت ديارهم عنوة)[١].

وللمقريزي نفسه كتاب (النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم: [وهو] رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول استئثار بني أمية)[٢].

ويقول المقريزي أيضاً: (يا عجبا كيف يستحق خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله على أمته شرعاً من لم يجعل له حقا في سهم ذوي القربى، أم كيف يقيم دين الله من قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله، ونابذه وكايده وبذل جهده في قتله؟! وليت إذ ولي بنو أمية الخلافة عدلوا وأنصفوا، بل جاروا في الحكم وعسفوا واستأثروا بالفيء كلّه وحرموه بني هاشم جملة، وزادوا في العتوّ والتعدي حتى قالوا إنما ذوو القربى قرابة الخليفة منهم، وحتى قرّروا عند أهل الشام أنه لا قرابة لرسول الله صلى الله عليه وآله يرثونه إلّا بني أمية... فقالوا والله ما علمنا أنّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة يرثونه إلا بني أمية... حتى صعد الحجاج بن يوسف يومًا أعواد منبره وقال على رؤوس الأشهاد: أرسولك أفضل أم خليفتك؟ يعرض بأن عبد الملك بن مروان بن الحكم

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي ٢٦.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي مقدمة المحقق النميسي ١/ ٢٩.

أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله... وحتى أن يوسف بن عمر عامل هشام قال في خطبته يوم الجمعة: إن أوّل من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء علي وصاحبه الزنجي، يعني عمار بن ياسر رضي الله عنه)[1].

ولو عدنا إلى أبرز المناظرين فيما نعرض من مناظرة فهم: عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبى معيط، وعتبة بن أبى سفيان، والمغيرة بن شعبة، قد دعَوا إلى إحضار الحسن، والإساءة إليه، واتفقوا على: سبّه وسبّ أبيه، واتهام أبيه بقتل عثمان مثلما عرضنا؛ إذ روى مضمون هذا الاستدعاء الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الزبيري، المولود سنة ١٧٢ه والمتوفى سنة ٢٥٦هـ، وهو من أكابر العلماء وأعيان المؤلفين، وله من الكتب نسب قريش، والموفقيات في التاريخ، وكان قاضي مكة المكرمة، وكان الزبير هذا منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام ينال من العلويين حتى تهدّدوه فهرب منهم وذهب إلى عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي (٢٣٦هـ)، والذي كان عالماً أيضاً بالنسب عارفاً بأيام العرب[2].

---

(١) نفسه ٧٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ١١٢، وأنساب السمعاني ٦/ ٢٦٥، ٣٠٠، وعمدة الطالب في معرفة آل أبي طالب ١٥١.

وتوصف المناظرة التي نحن بصددها بأنّها (**أكثر المناظرات في الإسلام ضجيجاً وتحدّياً وصراحة**، ما "اجتمع عند معاوية، عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان قد بلغهم عن الحسن بن عليّ قوارص وبلغه عنهم مثل ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصُدِّق، وأمر فأُطيع، وخفقت له النعال، وإنّ ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولايزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا؛ قال معاوية، فما تريدون؟ قالوا: ابعث عليه فليحضر لنسبَّه ونسبَّ أباه، ونعيِّرَه ونوبِّخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرّره بذلك، ولا يستطيع أن يغيّر علينا شيئاً من ذلك! قال معاوية: إني لا أرى ذلك ولا أفعله، قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين، لتفعلن، فقال: ويحكم لا تفعلوا! فو الله ما رأيته قطُّ جالساً عندي إلّا خفت مقامه وعيبه لي! قالوا: ابعث إليه على كل حال؛ قال: إن بعثت إليه لأنصفنّه منكم؛ فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا، أو يُربَى قوله على قولنا؟! قال معاوية: أما إني إن بعثت إليه لآمرنّه أن يتكلم بلسانه كله، قالوا: مُره بذلك! قال: أما إذ عصيتموني وبعثتم إليه وأبيتم إلّا ذلك فلا تمرضوا له في القول،

واعلموا أنهم أهل بيتٍ لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار ولكن اقذفوه بحجره، تقولون له: **إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء** من قَبله، فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله فقال: إنّ أمير المؤمنين يدعوك. قال: من عنده؟ فسماهم له، فقال الحسن: **مالهم! خرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ**(١)؛ ثم قال: يا جارية إبغيني ثيابي؛ اللهم إني أعوذُ بك من شرورهم وأدرأ بك في نحورهم وأستعينُ بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وأنّى شئت، بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين! ثم قام، فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه وقد ارتاد [أظنها ارتاب] القوم وخطروا خِطْرَانَ الفحول، بغياً في أنفسهم وعلوّاً، ثم قال: يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني! فقال الحسن: **سبحان الله، الدارُ دارُك والإذن فيها إليك! والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحيي لك من الفحش! وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف! فأيّهما تقرر وأيهما تنكر؟** أمَا إنّي لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من

---

(١) قوله تعالى: ﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (النحل: ٢٦).

بني عبد المطلب، وما لي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم: **﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾** (الأعراف:١٩٦). قال معاوية: يا هذا إني كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإن لك منهم النصف ومنّي، وإن ما دعوناك لنقرّرك **أن عثمان قتل مظلوماً**، وأن أباك قتله! فاستمع منهم ثم أجبهم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكلّ لسانك! فتكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله ثم ذكر علياً عليه السلام فلم يترك شيئاً يعيبه به إلّا قاله، وقال: إنه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته، ثم بايعه مكرهاً، وشرك في دم عمر وقتل عثمان ظلماً، وادّعى من الخلافة ما ليس له. ثم ذكر الفتنة يعيره بها، وأضاف إليه مساوئ وقال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحل! ثم إنك يا حسن، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبُّه، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش، يُسخر منك ويُهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك. وإنما دعوناك لنسبَّك وأباك، فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا

أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيبٌ من الناس! فهل تستطيع أن تردّ علينا وتكذّبنا؟ فإن كنت ترى أنّا كذبنا في شيء فأردده علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان. ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال: يا بني هاشم إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم، وكنتم أصهاره، فنعم الصهر كان لكم، يكرمكم، فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظلماً لا عذر له ولا حجة... ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: يا حسن كان أبوك شرَّ قريش لقريش، أسفكها لدمائها، وأقطعها لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، **وإنكم من قتل عثمان**، ونحن قاتلوك به، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً ولا في ميزانها راجحاً، وإنكم يا بني هاشم **قتلتم عثمان**، وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره... وأما أنت فو الله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان؛ ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فشتم علياً، وقال: والله ما أعيبه، في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنّه قتل عثمان؛ ثم سكتوا؛ فتكلم الحسن بن علي عليه السلام **فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قال: أما بعد يا معاوية فما**

هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني، فُحْشاً أَلِفْتَهُ، وسوءَ رأيٍ عُرفت به وخُلُقاً سيِّئاً ثبَتَّ عليه، وبغياً علينا عداوةً منك لمحمد وأهله! ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا، فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم! أنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما، وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية؟! وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر، وبالأخرى ناكث! وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تُسرِّون الكفر وتظهرون الإسلام وتُستمالون بالأموال! وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، وأنّ راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته، وينصر دعوته، ويصدق حديثه، ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط! وأنشدك الله يا معاوية أتذكرُ يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اللهم

العن الراكب والقائد والسائق! أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لّما هَمَّ أن يُسلمَ تنهاه عن ذلك:

يا صخرُ لا تُسْلِمَنْ يوماً فتفضحنا ... بعدَ الذين ببدر أصبحوا فرقا
خالي وعمي وعم الأم ثالثهم ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر تكلفنا ... والراقصات به في مكة الخرقا(١)

نظم النصّ ومحاولة تحليله:

وهذا النصّ أورده أيضًا سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص ذكراً مختصراً، وأورد الخطبة الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات السابق، كما في شرح النهج لابن أبي الحديد مطولة، ومع ذلك بين الروايتين بعض التفاوت:

أن ابن الجوزي رواها مختصرة...

أمّا غاية المناظرين فقد كانت الإساءة والشتم، شتم الإمام الحسن وأمير المؤمنين:

"فما هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني

الذي شتمتموه".

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٦٧ - ٣٧٠، وجمهرة خطب العرب ٢/ ٢٨/ ٢١ وأعيان الشيعة: ١ / ٥٧٤.

وتضع الدكتورة رباب صالح ردّ الإمام في باب الموازنة الضدّيّة القائمة على التقابل، بين:

صلّى .... كافر

تضاد

بايع .... ناكث

تضاد

راية الإيمان .... راية الشرك

تضاد

وذهب إليهم الإمام مستعيناً بالدعاء: بدأه بنداء: اللهمّ: لبثّ شكواه إلى الله، وختمه بنداء: يا أرحم الراحمين.

اللهم إني أعوذُ بك من شرورهم.

وأدرأ بك في نحورهم وأستعينُ بك عليهم.

أعوذُ بك، وأدرأُ بك، وأستعين بك: أفعال يُراد بها جواب النداء أو أفعال الغاية من هذا النداء

وقد عاد على جميع هذه الأفعال الجار والمجرور (بك) المكرّر، والكاف هو المستعان به.

فاكفنيهم: اكفِ فعل طلب الدعاء.

وياء المتكلم: مفعول به، وهم: ضمير جماعة الغائبين مفعول ثانٍ.

كيف شئت؟

وأنّى شئت؟

بحول منك وقوة.

أمّا الردّ الابتدائي للحسن فكان في استهجان الموافقة على أصل الاستدعاء، وفي هذا الردّ قوّة لحضوره، ورفع لمقامه، وعلوّ لرتبته، بموازاة ضعف المستدعي المغلوب على أمره، الذي بادر إلى البراءة من هذا الاستدعاء، لكنّ الإمام لم يَعفِه منه، في قوله:

سبحان الله، الدارُ دارُك والإذن فيها إليك!

والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم...

إني لأستحيي لك من الفحش!

وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف!

فأيّهما تقرّر وأيهما تنكر؟

ثمّ يستهين بهم لاستدعائه منفردًا وهم جميع، قائلاً:

أمَا إنّي لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب

وما لي أنْ أكون مستوحشاً منك ولا منهم...

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف:١٩٦)

ثُـمّ يبـدأ مـتن الـردّ: بـاعتماد لازمـة احتجاجيّـة تفاعليّـة، هـي: (**أنشـدكم الله**) كرّرهـا الإمـام خمـس مـرّات، كانـت الأخـيرة منهـا: (**أنشـدك الله**) وخـصّ بهـا الـرأس نفسـه، ونشـد نشـدة: طلـب، ونشـد بـالله اسـتحلف، أنشـدكم الله وبـالله: أسـتحلفكم وأسـألكم، وضـمّن أهل اللغة هـذا التركيـب معنـى الاسـتعطاف والتـذكير(١) وهمـا مطلوبـان في الشهادة وقول الحق.

أنشـدكم الله – أيهـا الـرهط – أتعلمـون أن الـذي شـتمتموه منـذ اليوم صلى القبلتين كليهما.

أنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين.

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً.

وأنشـدكم الله ألسـتم تعلمـون أنـه كـان صـاحب رايـة رسـول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر

وأنشدك الله يا معاوية أتذكرُ يوماً جاء أبوك على جمل أحمر.

فبهـذه اللازمـة (**أنشـدكم الله**) احـتج الإمـام بشـهادة خصـمه، في دحـض دعـواه، وهـذا مـن أقـوى الحجـج، لشـيوع مـا اسـتعان بـه مـن دلائـل، وتهافـت القـول بـالتنقيص والشـتم، وبعـدُ مـا ادُّعِـيَ مـن ادّعاءات باطلة.

---

(١) تاج العروس ٩/ ٢٢٠ – ٢٢١.

وقد نـوّع مـا بعـد (أنشـدكم) الاسـتفهام الموجّـه إلى المخـاطبين، إذ بدأه بالاستفهام بـالهمزة، ثـمّ الاسـتفهام بتكـرار "هـل" مـرتين، ثـم عـاد إلى الاستفهام بالهمزة بتكرارين مرةً أخرى.

أنشدكم الله + أتعلمون

أنشدكم الله + هل تعلمون

أنشدكم الله + هل تعلمون

وأنشدكم الله + ألستم تعلمون

وأنشدك الله يا معاوية + أتذكرُ

كـان الإمـام قـد استشـهد في المـرات الأربـع الأولى لإظهـار مضامين تتصل بأمير المؤمنين:

المضـمون الأوّل: الشـهادة لأمـير المـؤمنين أنّـه (**صـلى القبلتـين كليهما**).

المضمون الثاني: الشهادة له (**أنه بايع البيعتين**).

المضمون الثالث: الشهادة له (**أنه أول الناس إيماناً**).

المضـمون الرابـع: الشـهادة لـه أنّـه (**صـاحب رايـة رسـول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر**).

أمّا الشـهادة الخامسـة فشـهادة الخصـم عـلى نفسـه شـهادة مبـاشرة تظهـر مـا كـان منـه وهـي القاصـمة في هـذه المنـاظرة: **وأنشـدك الله يـا**

معاوية أتذكرُ يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق! أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لّما هَمَّ أن يُسلمَ...

واستبدل (أتعلمون) بـ (أتذكر) و (أتنسى) في الشهادة الخامسة وكان المتوقّع أن يقول الإمام (أتعلم) بحسب التتابع لكنّ الإمام التفت إلى أنَّ هذه الشهادة غير الشهادات الأربع، وسياقها يختلف عن سياق الشهادات السابقة ومضمونها مختلف، إذ لهذه الشهادة مزيّة إبراز الأدلّة الماديّة التي تدين الخصم ولا حاجة بها لـ (أتعلم)، لأنَّ (أتعلم) لما يحيط بالإنسان، أمّا (أتذكر) و (أتنسى) فهما الأنسب لأنّها شهادته على نفسه وما كان منه، ومرتبطة بتذكّر اللعن ونسيان الأبيات، وهما الحادثان المهمّان في تاريخ الخصم، الأوّل (أتذكر): لمناسبة لعن رسول الله موثّقاً بالتذكير بلحظة اللعن زماناً وصورة ومكانًا؛ والثاني (أتنسى): لمناسبة الشهادة بأبيات متداولة تفضح سيرة المخالف وعداءه للإسلام.

وقد ترفّع الإمام عن أن يردّهم بمثل كلامهم، إذ ليس الخلاف من وجهة نظره خلافًا شخصيًّا بينه وبين المتصدّين لشتمه وشتم أبيه، بل هم أدوات سلطة مثلما قلنا، في قوله:

"فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم".

وغاية شتم المناظرين هي النيل من المنهج ورائده والد الإمام عليه السلام، وهو من هو في الدعوة، فطلب شهادتهم في الموازنة بين الفريقين:

١- صلى القبلتين كليهما عليه السلام

وأنت كافر تعبد اللات والعزى.

٢- بايع البيعتين بيعة الفتح وبيعة الرضوان عليه السلام

وأنت بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث.

٣ - أوّلُ الناس إيماناً عليه السلام

إنك وأباك من المؤلفة قلوبهم تُسِرُّون الكفر وتُستمالون بالأموال.

٤- صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر وأحد والأحزاب عليه السلام

راية المشركين معه ومع أبيه

٥- يصدّق حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وعنه راض

عليك وعلى أبيك ساخط

٦- ... رآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق!

أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك...

وواضح الفرق بين خطاب الدعاية "وتحسين القبيح، وتقبيح الحسن... بلاغة لا تهتم بحقائق الأشياء، ولكن تهتم بالإقناع، وضمّ الجمهور إلى جانب دون آخر، والجمهور ليس فلاسفة ولا أشباه فلاسفة، وإنّما هم قوم من عامة الناس تؤثّر فيهم الكلمة المنتقاة والأصوات الرنانة..."[1]؛ فليست حججهم سوى مغالطات، وسفسطة، وتلبيس، واستفزاز، وتسقيط.

ويمكن أن نجمل منطلقات التفاخر، بـ:

١- شرف النسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والتمسك بدعوته المباركة.

٢- المكانة المتحصّلة بالالتزام بهذه الدعوة.

٣- الغلبة والثبات في حروب تثبيت الإسلام.

٤- الكرم والعفو والوفاء.

٥- الفضل والتقدّم على الناس.

٦- المثالب والتذكير بالمواقف المخزية للطرف المقابل.

وواضح أيضاً من مضمونِ مفاخرةِ الفريقِ الأمويّ، أنّه يستثمر لحظة تسليم الأمر لمعاوية، ومن أجواء التمكن من السلطة

---

(١) مجلة علوم اللسان، الجزائر ١٠٩ - ١١٠.

ومن أدواتها، ومن تأثيرها المادّي والمعنويّ، لذا خطّطوا للتهوين من مقام الإمام، وحاولوا إسقاط هيبته ومكانته في أعين الناس؛ وقد استعدّوا لهذه الملاقاة، وهيّأوا لما يريدون من وسائل، فيما فوجئ الإمام في الاستدعاء، في أجواء مشحونة بالعداء، والتضييق والاستفراد، لكنّ الإمام ضبط انفعاله، ولم يتأثر أداءه مثلما عرضنا، بل استجاب لداعي الاستفزاز، وأجاد في الردّ، وحافظ على الثوابت، وخاب من أراد به سوءاً، وفشل تخطيط من حاول استثمار ممكّنات السلطة في الاستهانة بمقامه، وانتزاع أقوال توظّف في خدمة إعلام مخالفيه.

بطلان عثمانية الإمام الحسن:

إنّ اللافت في هذه المناظرة أنّ الإمام الحسن تجنّب المُدّعَى المركزي لهذه المناظرة الذي خَطّطَ له المناظرون وعقدوا العزم على إقراره به، وهو: (**إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء**)، أو (**إنّ ما دعوناك لنقرّرك أنّ عثمانَ قُتِلِ مظلوماً وأنّ أباك قتله!**)، فكان أن أسكتهم بما عرضه من هجوم كاسح، دافع به عن المتّهم الذي اتهموه بقتل عثمان، حتّى أنّه ألجمهم من أن يعودوا لتكرار ما ادّعوه في هذه المناظرة، أو أن يطلبوا منه ما كانوا قد هيّؤوا أنفسهم له واتّفقوا على إحراجه به.

وهنـا لا بُـدّ مـن حـوار مـن يَـدّعي أنّ الإمـام الحسـن كـان عـلى خـلاف مـع أبيـه، وأنّـه كـان عـثمانيّ الهـوى، في تصـريح أو إشـارات ومغـامز ذمّ غـير مبـاشرة لأبيـه، لأجـل رفـع مقـام غـيره، وإن كـان الغريم المخـالف معاوية بـن أبي سـفيان، وكانـت هـذه الـدعوى قديمـة تكذّبُها مضـامين هـذه المنـاظرة تكـذيباً صريحـاً لا يحتمـل التأويـل، لكـنّ الـدكتور طـه حسـين هـذه المـرّة كـان قـد أعـاد هـذه الفرية بمسـوّغات جديـدة، وأسـلوب شـائق، في مثـل قولـه: (ولم يكـن الحسـن يـرى أن يشترك أبـوه في شيء مـن الفتنـة مـن قـربٍ أو بعـدٍ، وإنّـما أشـار عليـه أن يعتزل الناس، وأن يترك المدينـة فيقـيم في مالـه في يَنبُـع، فلـم يسـمع عـليٌّ له [!!]... فلـما قُتِـل عـثمان لم يـرَ الحسـن لأبيـه أن يقـيم في المدينـة ولا أن يتعرّض للبيعـة ولا أن يقبلهـا وإن عُرضـت عليـه، ولـو اسـتطاع الحسـن لاعتزلَ الفتنة اعتزالاً كـما فعلـت المعتزلـة مـن أصـحاب النبـيّ... وكـان أبوه يعصيه في كـلّ مـا كـان يشـير عليـه مـن ذلـك... ولم يفـارق الحسـن حزنه عـلى عـثمان، فكـان عثمانيـاً بـالمعنى الـدقيق لهـذه الكلمـة، إلّا أنّـه لم يسـل سـيفًا للثـأر بعـثمان، وربـما غـلا في عثمانيّتـه، حتـى قـال لأبيـه ذات يوم ما لا يحـبّ، فقـد روى الـرواة أنّ علياً مـرَّ بابنـه وهـو يتوضّـأ، فقـال لـه: أسـبغ الوضـوء؛ فأجابـه بهـذه الكلمـة المُـرّة: "لقـد قتلـتم بـالأمس

رجلاً كان يسبغ الوضوء" فلم يزد عليٌّ على أن قال: لقد طال حزنك على عثمان)[١].

ولسنا في صدد مراجعة نصّ الدكتور أو تقويمه، لكنّنا نقول: لو كان لمثل هذا الكلام أدنى مصداق أو صحّة لكان له مكان في هذه المناظرة التي وُصفت بأنها (**أكثر المناظرات في الإسلام ضجيجاً وتحدّياً وصراحة**) مثلما عرضنا، ولأنّ المدار الذي دار به الحوار فيها هو (**إنما دعوناك لنقرّرك أنّ عثمانَ قُتِل مظلوماً وأنّ أباك قتله!**)، فلا يُعقل أن يُتجاهل هذا المضمون إن كان له وجود أيُّ وجود، ولِما كان فيها من عنف الإمام المُزَلزِل، والشدّة الشديدة في الإنكار عليهم، وفي ردّ مقولتهم الزائفة التي دارت بمدار اتهام الإمام أمير المؤمنين ﷺ اتهاماً باطلاً، والتي تكرّرت هذه المرّة على لسان الإمام الحسن فيما ادّعاه أو اقتنع به الدكتور طه حسين في نصّه الذي عرضناه قبل قليل: "**لقد قتلتم بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء**"، ولبدا شيء - ولو قليلاً جداً - من مضامين هذه المزاعم، أو صدى للعبارات التي استعملها الدكتور، وهي: الاعتزال، أو المشورة، أو عصيان أبيه، أو الحزن على عثمان، أو الثأر له، أو الغلوّ فيه.... إلخ.

---

(١) الفتنة الكبرى ٢ / ١٧٦.

وهذا أيضًا يناقض ما عرضه الدكتور طه حسين في كتابه نفسه من أنّ (الحسن بن عليّ وعمّار بن ياسر [كانا] يستنفران الناس)[١] في الكوفة ليلتحقوا بعسكر أمير المؤمنين عليه السلام للاشتراك في معركة الجمل.

ونجدُ أيضاً أنّ معاوية أغرى ابن الزبير في النيل من الإمام الحسن، في قوله: (لولا أنّك خوّار في الحرب، غير مقدام ما سلّمت لمعاوية الأمر... [ردّ الإمام:] تزعم أنّي سلمت الأمر، فكيف يكون ذلك - ويحك - كذلك... لكنّه بايعني مثلك وهو يطلبني ببرّه، ويداجيني المودّة، ولم أثق بنصرته... نحن نور البلاد وأملاكها، وبنا تفخر الأمّة، وإلينا تلقى مقاليد الأزمّة... لم تزل الأقاويل منّا مقبولة، وعليك وعلى أبيك مردودة، دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين، ثمّ بايعوا أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم، فسار إلى أبيك وطلحة حين نكثوا البيعة... فقال ابن الزبير: أعذر يا أبا محمد؛ فإنّما حملني على محاورتك هذه، وأحبّ الإغراء بيننا، فهلاّ إذا جهلتُ أمسكتَ عنّي، فإنّكم أهل بيت سجيتكم الحلم والعفو، فقال الحسن: يا معاوية: انظر هل أكيعُ [أجبن وأخاف] عن محاورة أحد!)[٢].

---

(١) الفتنة الكبرى ٢ / ٤١.

(٢) المحاسن والمساوي ٧٦.

لكلّ ما تقدّم يمكن أن نقول باطمئنان استناداً إلى الحقّ والحقيقة أنْ لا أصل لما دبّجه عميد الأدب العربي من مقال في هذا الموضع من كتابه، ولا لمن سبقه، استنادًا إلى هذه (المناظرة) وغيرها، فهذه هي الوثائق التاريخية المهمّة الواضحة وضوح الشمس.

ولا يمكن أن يزعم أيَّ زاعمٍ في ظلّ أدلّتها الدامغة أنّ الإمام الحسن عليه السلام على غير منهج أبيه، أو أنّ هناك أيّ فارق بينه وبينه.

* *

الخاتمة

كانت خُطَبُ الإمامِ الحسن عليه السلام:

أنموذجَ الوصول المباشر إلى المراد بأقلّ الكلام وأخصره.

ومَثَلاً للتماسك بين أجزاء النصّ الواحد.

ونمطاً متميّزاً في تناسب الجمل والدلالات والأحوال المقتضية لها.

وكانت أكثر المفردات وتراكيبها معروفة مألوفة، لكنّ الفضيلة في اختياره ما طابق مقتضى الحال، **كيف لا يكون ذلك كذلك؟!** وهو القائل: **البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل عبارة**، مثلما عرضنا في التمهيد.

وكانت أغلب النصوص شفويّة مباشرة، تتوافق ومتطلّبات السرعة في الردّ، لتناسبَ مقامَ العداءِ والتنافر الذي لا يتحمّل الانتظار وطول الإصغاء، وكانت مشحونة بالأدلة الواضحة، والحجج العقليّة المُسكتة، ممّا يفحم الخصم المُدّعِي، ويفضح المخالف؛ على الرغم من كون إدارة الأمور والحوار بيدي فريق السلطة الذي همّه المسارعة إلى التوهين والإساءة إلى أطروحة الإمام، وتثبيت أهداف الدولة الجديدة التي تسعى بكلِّ ما أُتيح لها

مـن إمكانـات مـن إقـرار مقولتهـا المركزيّـة الباطلـة: (**إنّ أبـاك قتـل عـثمان، وكَـرِه خلافـة الخلفـاء**)، أو (**إنـما دعونـاك لنقـرّرك أنّ عـثمانَ قُتِـل مظلومـاً وأنّ أبـاك قتلـه!**)، وكـان هـذا هـو هـدفها الـذي مكّـن مـن التأسـيس للاخـتلاف والتنـاقض والعـداء، والـذي صـار يقتتـل بسـببه المسـلمون فـيما بيـنهم في كـلّ زمـان ومكـان، في انتظـار المراجعـة الجديّـة التـي توقـف آثـار هـذه المقولـة التـي كُتِـب لهـا الاتسـاع والاسـتمرار والبقاء والتهديد بالفناء.

أمّـا في المناسـبة فخطـبُ الإمـام الحسـن هـي الـنماذج المـأثورة العاليـة، والأنـماط المختلفـة التـي كانـت بحسـب مـا اسـتدعاها مـن ظـروف، واحتفظـت بتميّزهـا وفرادتهـا، فهـي المقـولات التاريخيـة الخالدة، وفيها كان الإمام قد:

١- ربـط سـيرة والـده بـالمبعوث رحمـة للعـالمين، ورحيلـه برحيـل مـا يقدّسـه المسـلمون مـن أزمنـة وشخصـيات وحـوادث، فضـلاً عـن توكيد إخلاص أمير المؤمنين لله ولمجتمعه.

٢- اشـترط عـلى أتباعـه حـين توليتـه القـول: **"أن تسـالموا مـن سالمت، وتحاربوا من حاربـت"** لمناسـبة واقـع مـا كـان يلحظـه، ومـا كـان يحتمله من خلاف وتردّد وانقسام.

٣- وصف انقلاب بعض أتباعه من مخلصينَ أهلِ دينٍ إلى أهلِ دنيا بقوله: "**كنتم في مبتدئكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم ودنياكم أمام دينكم**".

٤- رفض الاعتراف بأحقيّة خصمه، بعد تسليم الأمور، في قوله: "**ألا وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إمّا حقُّ امرئٍ كان أحقَّ به منّي، أو حقٌّ لي فتركته له**"؛ ترك هذا الأمر، من دون إقرار لخصمه بالأحقيّة.

٥- احترم أتباعه، وقد استفتاهم في قبول خلافته مرّة، وفي قبول الصلح مرّة أخرى.

٦- هزم خصومَه وتفوّقَ عليهم في ثلاثِ مناظرات حجاجية تاريخيّة مشهودة، كانت اللاحقة منها أشدُّ من سابقتها، ما يدلّ على تنامي الخلاف، وتصاعد الصراع والاختلاف:

الأولى: الإمام ومعاوية والمدار أفضليّة النسب والإخلاص للدعوة.

والثانية: ردّ ادّعاء تقدم بني أميّة وقد افتخر عليهم بالهدى والنبوّة والنصر يوم بدر.

والثالثة: دفاعه عن منهج أمير المؤمنين الذي تقدّم أقرانه في تثبيت أركان الإسلام.

وأخيراً: أظهرت الخطبُ الحَسَنيّةُ المعارضةَ السلميّةَ للمنهج المقابل الذي كان ينتظر الإذعان والإقرار، ظنّاً من هذا الخصم أنّه المنتصر بعد الصلح، لكنّ الإمام الحسن عليه السلام كان يصدع بأمر الله، ويَثبِتُ على منهج جدّه رسول الله، ويتمسّك بحقّ والده وليِّ الله، ولم يَلِنْ أو يتراجع، في كلّ ما واجه من مواقف صعاب؛ وكان رمزاً كبيراً من رموز التعايش بين المسلمين، في عقدٍ صعبٍ من السنين، كان قد تحمّل فيه الإمام العنت الشديد، هو وأتباعه وقد التزم بشروط الصلح لمصلحة المسلمين. حتّى أنّنا لم نقف في هذه الخطب على تصريح أو تلميح يُداهن فيه خصمه، أو يسكت عليه، أو يتغاضى عن تجاوزه على المسيرة الواضحة التي بدأت بجَدّه، موصولة إلى والده، ليسلّم الأمانة والإمامة مصونة إلى من جاء من بعده، وهذا ما كان واضحاً جليّاً في خطبه الثمانية المختارة التي عرضناها في هذا الكتاب... والحمد لله ربّ العالمين.

* *

المصادر

- القرآن الكريم.
- آداب من القرآن، السيد عبد الحسين دستغيب، ط٣، لبنان، ٢٠١٠.
- أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة، السيد محمد باقر الصدر، بيروت، ٢٠٠٨.
- الإتحاف بحبّ الأشراف، عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي، ط٢، قم، ١٣٦٣.
- إحقاق الحق، للسيد المرعشي، قم، ١٤١٣.
- الأخبار الطوال، للذهبي، القاهرة، ١٩٦٠.
- الأخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري، تح: عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦٠.
- الأخلاق الحسنيّة، جعفر البياتي، ١٤٣٤.
- الإرشاد للشيخ المفيد ط٢، بيروت، ١٩٩٣.
- أسد الغابة، لابن الأثير، بيروت، د. ت.
- الأسلوبيّة الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدس، ط٢، عمان، ٢٠١٠.

- أضواء على السنّة المحمدية أو دفاع عن الحديث، محمود أبو ريّة، ط ٦، القاهرة، ١٩٦٤.

- إعراب القرآن للنحاس، تح: د. زهير غازي زاهد، ط ٣، بيروت، ١٩٨٨.

- إعلام الورى بأعلام الهدى، للطبرسي، بيروت، ١٩٧٩.

- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دمشق، ١٩٣٦.

- أمالي المرتضى، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٥٤.

- إمتاع الأسماع للمقريزي مقدمة المحقق النميسي، بيروت، ١٩٩٩.

- أمير المؤمنين الحسن بن علي رض، علي محمد الصلابي، القاهرة، ٢٠٠٤.

- الانتصار، للعاملي، بيروت ١٤٢٢.

- أنساب الأشراف، تح: المحمودي، بيروت، د. ت.

- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلميّة، ٣٠٠٧.

- البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، بيروت، ١٩٦٦.

- بلاغة الخطاب الإقناعي، د. عبد اللطيف عادل، بغداد، ٢٠١٣.

- البيان والتبيين للجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ط٤،مصر،١٩٧٩.

- تاج العروس، للزبيديّ، تح: مجموعة من الأساتذة، الكويت، د. ت.

- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٧.

- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، بيروت، د. ت.

- تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، تر د. جورج تامر، ط ٤، كولونيا، ٢٠٠٨.

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٥٧١هـ) ترجمة الإمام الحسن، بيروت، ١٤١٥.

- تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون وجيل جوتييه، تر د. محمد صالح الغامدي، ١٤٣٢.

- تاريخ اليعقوبي، بيروت، ١٩٦٠.

- التبيان في البيان للطيبي، تح: د. توفيق الفيل، وعبد الله لطف الله، الكويت، ١٩٨٦.

- التحرير والتنوير، لابن عاشور، بيروت،٢٠٠٠.

- التذكرة الحمدونيّة، تح: إحسان عباس، بيروت، ١٩٩٦.

- ترتيب جمهرة اللغة، لأبي بكر بن دريد، مشهد، ١٤٢٨هـ.

- ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د.المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، قم، ١٤١٤ هـ.

- تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق أبي محمد بن عاشور، بيروت، ٢٠٠٢.

- تفسير الكشاف، للزمخشري، بيروت، ٢٠٠٢.

- التلقّي والسياقات الثقافيّة، عبد الله إبراهيم، ط ٢، الجزائر، ٢٠٠٥.

- التنوير في شرح الجامع الصغير، للصنعاني، تح: د محمد اسحاق محمد إبراهيم، الرياض، ٢٠١١.

- تهذيب التهذيب، لابن حجر، بيروت، ١٩٨٤.

- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ط ٢، بيروت، ١٤٠٥.

- جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ٢٠٠٥.

- جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، بيروت، ١٩٨٥.

- الجنى الداني للمرادي، تح: د. فخر الدين قباوة، بيوت، ١٩٩٢.

- جـــواهر المطالـــب في مناقـــب عـــلي ﷺ، محمـــد البـــاعوني الدمشقي، تح: محمد باقر المحمودي، قم ١٤١٦.

- الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، علي الشبعان، بنغازي، ٢٠١٠.

- خـامس الخلفـاء الراشـدين، د محمـد عـلي الصـلابي، القـاهرة، ٢٠٠٧.

- الخصـائص الفاطميّـة، الشـيخ محمـد بـاقر الكجـوري، ترجمـة سيد علي جمال أشرف، ١٣٨٠هـ.

- خطـب الإمـام الحسـن ﷺ، جمـع ودراسـة، د. ربـاب صـالح حسن، بغداد، ٢٠٠٤.

- خليفـــة الله، الســـلطة الدينيّـــة في العصـــور الأولى، باتريشـــا كرون ومارتن هيندز، تر أحمد طلعت، بيروت، ٢٠١٧.

- دائرة المعارف الإسلامية، لجنة الترجمة، القاهرة، ١٩٣٣.

- الــدر المنثــور في التفســير بالمــأثور، جــلال الــدين الســيوطي، بيروت، د. ت.

- ديـوان أبي الأسـود الـدؤلي، صـنعة أبي سـعيد السـكري، تـح: الشيخ آل ياسين بيروت، ١٩٩٨

- الــربط بــين الجمــل في اللغــة العربيّــة، د. محمــد حســن عبــد العزيز، القاهرة، د. ت.

- رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، ط٢، المؤسّسة الغربية، ١٩٨٧.

- رسائل الجاحظ، جمع السندوبي، مط الرحمانية، ١٣٥٢ هـ.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي، تح: د. أحمد الخراط، دمشق، ط٣، ٢٠٠٢.

- الروائع المختارة، مصطفى الموسوي، مصر، ١٩٧٥.

- الرياض النضرة في مناقب العشر لأبي جعفر الطبري (ت٦٩٤هـ)، بيروت، د. ت.

- سنن الترمذي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣.

- السنن الكبرى، للبيهقي، دار الفكر، د. ت.

- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تح: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ١٩٩٣.

- الشائعات المشهورة ضدّ الإمام الحسن عليه السلام، نجاح الطائي، بيروت، ٢٠١٠.

- شرح الأخبار، للقاضي النعمان المغربي (٣٦٣هـ)، تح: محمد الحسيني الجلالي، قم.

- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ط ٢، ٢٠٠٤.

- صحيح مسلم، بيروت، دار صادر، د. ت.

- صلح الإمام الحسن عليه السلام قراءة جديدة، السيد سامي البدري، النجف، ٢٠١٣.

- صلح الحسن عليه السلام، الشيخ راضي آل ياسين، بيروت، ١٩٩٢.

- الطالب في معرفة آل أبي طالب، النجف، ابن عنبة (٨٢٨هـ) ١٩٦١.

- عاصفة السلام، كمال السيّد، ط٣، قم ٢٠٠٤.

- عقائد الأماميّة، محمد رضا المظفر، ط ٨، القاهرة، ١٩٧٣.

- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ق٦، د. ت.

- الفائق في غريب الحديث، الزمخشري؛ ١٩٩٦.

- الفتنة الكبرى، عليٌّ وبنوه، الدكتور طه حسين، القاهرة، ٢٠١٣.

- الفتوح، لابن أعثم، تح: سهيل زكار، بيروت، ٢٠٠٣.

- فضائل الصحابة، للنسائي، بيروت، د. ت.

- في النحو العربي، قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.

- قادتنا كيف نعرفهم، السيد مهدي الميلاني، قم، ١٤٢٦هـ.

- الكامل، لعبد الله بن عدي الجرجاني، بيروت، ١٩٨٨.

- الكامل في التاريخ لابن الأثير، بيروت، ١٩٨١.

- الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرّد، القاهرة، د. ت.

- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تح: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، د ت.

- كتاب الفتوح، لأحمد بن أعثم الكوفي، تح: علي شيري، بيروت، ١٩٩١.

- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، لأبي الفتح الإربلّي، بيروت، ١٩٨١.

- الكلّيّات، للكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، قم، ١٤٣٣.

- لسان العرب، لابن منظور، القاهرة، د. ت.

- لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، عمان، ١٩٨١.

- المبسوط للسرخسي (٣٨٣هـ)، بيروت، د. ت.

- مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تح: د. محمد فؤاد سزكين، القاهرة، ١٩٨٨.

- المجتنى، لابن دريد الأزدي، ط٢ دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢.

- مجمع البيان، للطبرسي، بيروت، ١٩٩٢.

- مجمع الزوائد للهيثمي، بيروت،١٩٨٨.

- مجلة علوم اللسان، الجزائر، العدد ٢ ديسمبر ٢٠١٢، الحجاج في التراث العربي، بن أحمد عالم فايزة.

- المحاسن والأضداد، للجاحظ، بيروت، ٢٠٠٦.

- المحاسن والمساوي، لإبراهيم بن محمد البيهقي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦١.

- محاضرات في الأدب الجاهلي، د عبد اللطيف الطائي، بغداد، ٢٠١٦.

- المحرر الوجيز، تح: عبد السلام الشافي، بيروت، ٢٠٠١.

- محطات في تاريخ القرآن، مرتضى فرج، بيروت، ٢٠١٥.

- مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، تح: أحمد راتب ومحمد ناجي العمر، دمشق، ١٩٨٥.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، قم، ١٩٨٤.

- المستدرك على الصحيحين، للنيسابوريّ، بيروت، د. ت.

- المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، بيروت، ٢٠٠٠.

- مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ١٩٨٨.

- مسند الإمام أحمد، بيروت، د. ت.

- معاني القرآن، للفراء، تح: محمد علي النجار، ط ٢، بيروت،١٩٥٥.

- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، بغداد، ١٩٨٩.

- معاوية بن أبي سفيان، علي عزت آقبيق، دمشق، ٢٠١٠.

- معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ط ٥، ١٩٩٢.

- المعجم الكبير، للطبراني، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث، ١٩٨٤.

- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تح: عبد السلام هارون، بيروت، ١٩٧٩.

- معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) تح: سيد كسروي حسن، بيروت، د. ت.

- مغني اللبيب، لابن هشام، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٢، بيروت، ١٩٦٩.

- مفردات القرآن الكريم، للأصفهاني بيروت، ٢٠١٠

- مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني، النجف، ١٩٦٥.

- المقتضب، للمبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، ١٩٦٣.

- مناقب آل أبي طالب، لابن شهراشوب، النجف، ١٩٥٦.

- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي، تح: إبراهيم الميانجي، ط ٤، طهران، ١٣٦٠ ه ش.

- مواهب الرحمن، عبد الأعلى السبزراوي، ط٢، النجف، ٢٠٠٧.

- موجز تاريخ العرب، فيليب حتّي، القاهرة، ٢٠١٢.

- موسوعة عبد الله بن عباس، محمد مهدي الخرسان، قم، ١٤٣٣.

- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط ٣، بيروت، ١٩٩٣.

- الميزان، للطباطبائي، بيروت، ٢٠٠٦.

- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، قم، ١٤١٦.

- النزاع والتخاصم للمقريزي (٨٤٥هـ)، تح: علي عاشور، د ت.

- نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تح: إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٥٩.

- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر للحلواني ق ٥، قم، ١٤٠٨.

- نصوص من الأدب الأمويّ، د حسين أحمد عطوان، عمان، ٢٠٠٥.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري (ت٧٣٣هـ)، القاهرة، د. ت.

- ينابيع المودّة لذوي القربى، للقندوزي (١٢٩٤هـ)، تح: سيد علي جمال الحسيني، ١٤١٦.

* *

فهرس الآيات

الصفحة	الآية
١٤٢	﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٣)
٨٣ – ٨٦	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ (سورة البقرة: ٢١٦)
٧٧	﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨٢)
١٤١	﴿وَمَا الحياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥)
١٥٥	﴿قل تعالَوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم﴾... (سورة آل عمران: ٦١)
١٤٦	﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٠)
٦٠	﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ ... راكعون﴾ (سورة المائدة: ٥٥)

﴿فَقالُوا هذا لله بِزَعْمِهِمْ﴾ (سورة الأنعام: ١٣٦)	١٨٥
﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ﴾ (سورة الاعراف: ٨٩)	١٣٥
﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ (سورة الأعراف: ٩٢)	٦٤
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ﴾ (سورة الأعراف:١٥٠)	٤٦
﴿إِنَّ وَلِيِّيَ الله الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف:١٩٦)	٢٠٩ – ٢١٤
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ...إلى قوله تعالى: مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف ١٩٩– ٢٠١)	٢١
﴿اصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)	٨٢– ٨٦
﴿إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ﴾ (الأنفال: ٤٨)	٨٥– ٨٦
﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾ (هود: ٨)	١٤٢
﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (هود: ١٢٢)	٨٥– ٨٦
﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾ (يوسف ٩٢)	٢١

﴿وَ الله يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ﴾ (النحل: ١٩)	٦٥
﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النحل: ٢٦)	٢٠٨
﴿وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٦٠)	١٣٥- ١٣٦
﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (سورة طه: ٢٥- ٣٦)	٦٠
﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون﴾ (الأنبياء: ٣٥)	٦٣
﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ	١٢٣- ١٢٥-

فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (الأنبياء: ١٠٩- ١١١)	١٢٦- ١٣٦- ١٢٧- ١٢٨- ١٢٩- ١٣١- ١٣٤- ١٣٥- ١٤٠- ١٤٤- ١٤٦- ١٥٢
﴿وكَـذَلِكَ جَعَلْنَـا لِكُـلِّ نَبِـيٍّ عَـدُواً مِـنَ الْمُجْـرِمِينَ﴾ (الفرقان: ٣١)	١٧٠
﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (الفرقان: ٤٦)	٤٣
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٠٦)	١٠٠

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٢٤)	١٠٠
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٤٢)	١٠٠
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٦١)	١٠٠
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١٧٧)	١٠٠
﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ (النمل: ٢٤)	١٠٩
﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً﴾ (القصص: ٣٥)	٦٠
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب:٣٣)	١٠٠ – ١٠١ – ١٠٢
﴿وإنّا أَوْ إيّاكم لَعَلَى هدًى أو في ضلالٍ مُبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤)	١٤٧-١٤٨- ١٤٩-١٥٢
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الصافات: ١٧٧)	١٠٠

﴿قُـلْ لَا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـراً إِلَّا الْمُـوَدَّةَ فِي الْقُرْبَـى وَمَـنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ (الشورى: ٢٣)	٥٥-٥٦-٦٧
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)	١٧٠
﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ (التغابن: ٧)	١٨٥
﴿مِـنَ اللهِ ذِي الْمَعَـارِجِ * تَعْـرُجُ الْمَلائِكَـةُ وَالـرُّوحُ إِلَيْـهِ﴾ (المعارج: ٣-٤)	٤٧
﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَ نَرَاهُ قَرِيباً﴾ (المعارج: ٦-٧)	٨٥
﴿أَمَّـا مَـنِ اسْـتَغْنى * فَأَنْـتَ لَـهُ تَصَـدَّى﴾ (عـبس: ٥ - ٦)	١٠٩
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١)	٤٧
﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ٣)	١١٦-١١٧

* *

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة	١٦- ١٥٥- ١٩٥
حديث الثقلين	٦٢
(ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا)	١٥٥
الولدُ للفراش وللعاهر الحجر	١٦٦
اللهم العن الراكب والقائد والسائق	٢١١- ٢١٢

فهرس الاشعار

الاشعار		الصفحة
لَكِسرَةٌ من خَسِيسِ الخُبزِ تُشبِعُني	وشربةٌ من قراحِ الماء تَكفيني	١٩
وطَمْرَةٍ من رقيقِ الثوبِ تسترُني	حَيًّا، وإن مِتُّ تكفيني لِتكفيني	
إن السخاء على العباد فريضة	لله يقرأ في كتاب محكم	١٩
وعد العباد الأسخياء جنانه	وأعد للبخلاء نار	
مَن كان لا يندي نداه بنائل	للراغبين فليس ذاك بمسلم	
قُل للمقيم بغير دار إقامة	حان الرّحيل فودّع	٢٠
إنّ الّذين لقيتهم وصحِبتهم	صاروا جميعاً في القبور ترابا	
لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله	عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ	٢٢
ألا ابلغْ معاويةَ بن حربٍ	فلا قرّتْ عُيونُ الشامتينا	٦٩
أفي شهرِ الصيامِ فجعتمونا	بخيرِ الناسِ طُرّاً أجمعينا	
قتلتم خيرَ مَنْ ركِبَ المطايا	وخَيّسَها ومن ركب السّفينا	
ومن لَبِسَ النعالَ ومَنْ حَذاها	ومَنْ قرأ المثاني والمئينا	

	إذا استقبلتَ وَجْهَ أبي حسينٍ رأيتَ البَدْرَ راق الناظِرينا لقد علمتْ قريشٌ حيث كانَتْ بأنّك خيرهُمْ حَسَباً ودِينا	
٦٩	أحبُّ محمّداً حباً شديداً وعبّاساً وحمزةَ أحبّهُمُ لحبِّ الله حتّى أجيءُ إذا بُعِثتُ على هَويَّا فإن يكُ حُبُّهُم رشداً أُصِبهُ ولستُ بِمُخطئٍ إن كان غَيّا يقول الأرذلون بنو قُشيرٍ طوال الدهر ما تنسى عليّا بنو عَمّ النبيّ وأقربوه أحبُّ الناس كلّهِمُ إليّا	
٩٧	لئن ساءني دهرٌ عزمت تصبّراً وكلّ بلاء لا يدوم يسير وإن سرّني لم أبتهج بسروره وكلّ سرور لا يدومُ حقير	
١٣٧	أما تراني كَيِّساً مُكيَّسا بنيت بعد نافعٍ مُخَيَّسا باباً حصيناً وأميناً كَيِّسا	
١٤٨	أحبُّ محمّداً حباً شديداً وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا أحبّهُمُ لحبِّ الله حتّى أجيءُ إذا بُعِثتُ على هَويَّا فإن يكُ حُبُّهُم رشداً أُصِبهُ ولستُ بِمُخطئٍ إن كان غَيّا يقول الأرذلون بنو قُشيرٍ طوال الدهر ما تنسى عليّا بنو عَمّ النبيّ وأقربوه أحبُّ الناس كلّهِمُ إليّا	

يقـــول الأرذلـــون بـــنو قُشيـــرٍ بنـــو عـــَمّ الـنبـــيّ وأقـربـــوه فـــإن يـــكُ حُــبّهم رشـــداً أصـــبه	طـوال الـدهـر مـا تـنـسى علــيّا أحـــبُّ الـنـــاس كـــلّهِمُ إلـــيّا ولســـت بمخطـــئٍ إن كـــان غيّـــا	١٤٩
ومـا عـن قِـلىً فارقـتُ دارَ معـاشري	هـــم المـــانعون حـــوزتي وذمـــاري	١٦٥
يـا صـخرُ لا تُسْـلِمَنْ يومـاً فتفضـحنا خـــالي وعمـــى وعـــم الأم ثـــالثهم لا تـــركنن إلى أمـــر تـكـلـفـنـــا	بعـــدَ الـــذين ببـــدر أصـــبحوا فرقـــا وحنظل الخـير قـد أهـدى لنـا الأرقـا والـراقصـات بــه فـــي مكـة الـخـرقا	٢١١

**

فهرس الأحداث ووقائع

الحدث والموقع	الصفحة
الاحزاب	٢١٠
بدر	-١٨٠ -١٨٢ -١٨٣ -١٩٤ -٢١٤ -٢١٥ -٢٢٧
بيعة الرضوان	٢١٠-٢١٧
بيعة الفتح	٢١٠-٢١٧

التحكيم	٦٣-١١٥- ١١٥-١٧٣
الثورة الحسينية	١٥٠
الجَمل	١٨-٦١- ١٠٣- ١٨٦-٢٢٢
الخطبة البتراء	١٦٤
صفين	٦١-٩٠- ٩٦-١٠٢- ١٠٣- ١٠٥- ١٠٦- ١٠٩- ١١٠- ١٨٦-٢٢٧

صلح الحسن أو الهدنة	١٧-١١٣- ١٥٠- ١٦٢-
عاشوراء (يوم الطف)	٧٢-١١٢
عام الجماعة	١٠٤-١٥٧

* *

فهرس الاماكن

الصفحة	الاماكن
٥٩	باب حطة
١٥٣	بيت المال
١٢٦-١٢٧-١٣٢	جابرس
١٢٦-١٢٧-١٣٢	جابلق
٨٢	جسر منبج
١٠	خراسان
٩٧-٩٨-٩٩	ساباط
٧٢-٧٣-٩٠-١٠٥-١١٨-١٢٢- ١٥٨-١٨٦-١٨٧	الشام
١٥٨	العراق

قنطرة الحيرة	١٦١
الكعبة	٥٨-٥٩
الكوفة	٧٢-٧٣-٧٤-٩٠-١٠٣-١٠٤- ١٢٣-١٢٥-١٢٦-١٥٣-١٥٩- ١٦٠-١٦٢-١٦٤-١٦٦-١٦٩-٢٢٢
المدائن	٩٨-٩٩
المدينة	٢٠-٢١-١٢٢-١٢٧-١٥٩-١٦١- ١٦٥-١٦٧-١٦٨-١٦٩-٢٢٠
مرو	١١٧
مسجد رسول الله	٥٩
مكة المكرمة	٥٨-١٢٢-٢٠٥
مندلي أو البندنيجين	١٦٠
النخيلة	٨٢-٨٤-٨٥-٨٩-١٦٠
النهروان	٦١-١٠٢-١٠٣-١٠٥-١١٠
الهاشمية	١٠

فهرس الامم والجماعات والفرق

الامم والجماعات والفرق	الصفحة
آل محمد	١٩٥
أشراف العرب	٨٠
الأمويون	٩-١٢-١٣-٢٩-٣٠-٣٣-١١٢- ١١٣-١١٩-١٨٩
الأنصار	١٠٤-١٥٧
أهل الإسلام	٧٩
اهل البصرة	١٨-٧٣-٧٤
اهل البيت	١٢-١٥-٥٥-٥٦-٥٨-٥٩-٦١-٦٢- ١٠١-١١١-١٢٢-١٣٨-١٣٩-١٤٨-

	١٦٠-١٩٣-١٩٥-٢٠١-٢٠٧-٢٢٢
أهل البيوتات	٧٤-٧٥-٧٨-٨٠
أهل الجهاد	٨٣
أهل الشام	٢٠-٢١-١٠٢-١٠٧-١٠٩-١١٤- ١١٥-١١٨-١٢٠-١٢٣-١٢٥
أهل الشرف	٨٠-١١٥
أهل العراق	١١-٩٦-١١٨-١٢٠-١٦٥
أهل القبلة	٢٠٣
أهل الكساء	٦٢
أهل الكوفة	١١-١٨-٧٤-٩٣-١١٤-١٦٢-١٦٥
بنو اسرائيل	٥٩
بنو أمية والدولة الأموية	١١٦-١٢١-١٣٤-١٥٩-١٧٩-١٨٢- ١٨٦-١٨٨-١٩٨-٢٠٢-٢٠٣-٢٠٥- ٢٢٧
بنو عبد المطلب	١٧٩-١٨٠-٢٠٨-٢١٣
بنو قشير	٦٩-١٤٨

بنو هاشم	١١١-٢٠٦-٢٠٩
التكفيريون والتكفير	١٣-١١٨-١٥٠
جماعة المسلمين	١٠٤
الجماهير الاسلامية	١١٣
جيش الحسن	١٠٦
الحسنيون	٩
خطباء مضر	٨٨-٨٩
الخلفاء والخلافة	١٦-٦٧-٧٠-١٠٤-١٥٧-١٥٨- ١٨٨-٢٠١-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٧-٢٠٨- ٢١٩
الخوارج	١٣-٩٧-٩٨-١٠٣-١٠٦-١١٤- ١٦٠-١٦٢-
ربيعة	٩٨
الروم	١١٨
زعامات القبائل	٨٠
سفينة نوح	٥٨-٥٩

الشيعة	٧-١٠-٦٨
الطلقاء	١٦٧
العباسيون	٩-١٠-١٢-٣٣
العثمانية	٦٨
العجم	٧٩-٨٠
العلويون	١٠
قريش	٨-٦٩-٧٩-٨٠-١٢١-٢٠٢-٢٠٨-٢٠٩
المعارضون والمعارضة	١٥٩
المعتزلة	٣٣
المهاجرون	١٠٤-١٥٧-١٦٧
الموالي	٨٠

❊ ❊

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
ابن الاثير	١٦١
ابن اعثم	٧٣-١٢٧
ابن حزم	٢٢
ابن عاشور	١٤٥
ابن عباس	١٢-٤٨-٥٥-٥٦-٧٣-٧٤-٧٥-٧٧-٨١
ابن عبد ربه	٣١
ابن عساكر	٥٠-١٢٨
ابن عطية	١٣٦-١٤٥
ابن الكواء	١٦٣
ابن منظور	٣٣-١٣١

ابو اسحاق	٣٨-٥٩
أبو الأسود الدؤلي	٢٢-٦٨-١٤٩-١٥٠
ابو البركات الأنباري	١٢
ابو بكر	٢٠٨
أبو بكر الجوزفي	١٣٤
أبو بكر بن خيثمة	١٣٤
أبو بكر بن محمد الصيرفي	١١٧
ابو بكر الرازي	١٥٥
أبو الحسن المدائني	١٦٢
أبو حيان	١١٦-١٣٥-١٥٥
أبو ذر جندب بن جنادة	٥٨-٦٠
أبو جعفر المنصور	٩-١٠
أبو سعيد السكري	٦٨

أبو سفيان	١٠٤-١٦٤-١٦٦-٢٠٣-٢١٠
أبو طالب	١٦٧
أبو العباس الدعولي	١٣٤
أبو عبيدة	١٤٩
أبو الفتح الأربلي	١٤٩
أبو محمد الحسن بن محمد يحيى	٣٨
أبو هلال العسكري	٢٢-٣٥
أبو يعلى	٥٠
أحمد بن حنبل	٣٨
الأزهري	١٦٣
إسماعيل بن محمد بن إسحاق	٣٨
أشعث بن سوار	٣٧
الأصمعي	٣٢
الأعمش	٥٩

البدري السيد سامي	٨-١١٧-١٢١-١٥٠-١٦٤
البلاذري	٩٥-١٦١
البيهقي ابراهيم بن محمد	١٧٩-١٨١
الترمذي	١١٦
تيودور نولدكه	١٤-15
	٣٣-١٠٤-١٥٧-١٧٩
جبرائيل	٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٦-٥٢
الجراح بن سنان	٩٨-٩٩
جعفر البياتي	٨-٢٠
حابس الطائي	١٦٠
الحجاج	٢٠٤
حجار ابن أبجر	٧٢
حجر بن عدي	٨٢
حرب	١٦٦-١٧١

حريز بن عثمان الرحبي الحمصي	١٦٥
الحسن ﷺ	٧-٨-٩-١٠-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٩-٣٠-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٩-٤٩-٥٠-٥٢-٥٣-٥٥-٥٦-٥٧-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٥-٦٦-٦٧-٧٠-٧٢-٧٣-٧٥-٨٠-٨١-٨٢-٨٧-٩٠-٩١-٩٣-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١١١-١١٢-١١٤-١١٥-١١٦-١١٧-١١٨-١١٩-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٣٠-١٣٢-١٣٤-١٣٦-١٣٨-١٤٠-١٤٢-١٤٣-١٤٦-١٤٩-١٥٠-١٥٣-١٥٤-١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٣-١٦٥-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٩-١٨٠-١٨٨-١٩٢-١٩٤-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٣-٢٠٥-٢٠٦-

	٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١٣-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢- ٢٢٣-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٨
الحسين عليه السلام	٧-٨-١١-١٢-١٩-٣٤-٧٢-١١٢-١١٨- ١٢٧-١٣٢-١٣٤-١٣٨-١٤٩-١٥٤-١٦١- ١٦٦-٢٠٣-٢٢٨
الحسين بن زيد	٣٩
الحضرمي	١٥٠
الحمزة بن عم النبي	٦٩-١٤٨
حنش بن المعتمر	٥٩
حوثرة الاسدي	١٦٠
خديجة بنت خويلد	١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٧١
رباب صالح	٢٥-٥٢-١١١-٢١٢
الزبير بن عبد الله الزبيري	٢٠٥-٢١١
الزرقاء بنت عدي	١٦٦
زياد بن أبيه	١٦٤-١٧٩

زيد بن علي	١١
سبط بن الجوزي	٢١١
السبيعي	١٣٤
السري بن اسماعيل البجلي	١١٧
سفيان بن الليل الهمداني	١١٧
سفيان الثوري	١٢٧
سميّة	١٠١-١٦٥
سهيل زكار	٨
السيوطي	٥٠
الشافعي	٥٨-٥٩
شبث بن ربعي	٧٢
الشريف المرتضى	١٣٢-١٣٤
شريك	٣٨
الشعبي	١١٧-١٢٤-١٢٧

شمر بن ذي الجوشن	٧٢
صخر	١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٧١-٢١١
الصلابي	١٨١
طاش كبري زاده	١٩٥
طاهر العقيقي الحسني	٣٨
طلحة	١٨
طه حسين	٩-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤
عاصم بن المصطلق	٢١
العباس عم النبي صلى الله عليه وآله	٦٩-١٤٨-٢٠٣
عبد الحسين شرف الدين	١١٢
عبد الرحمن بدوي	١٤
عبد الرحمن بن أم الحكم	٩٩

عبد الصمد بن الفضل	١١٧
عبد الله بن أحمد بن حنبل	٣٨
عبد الله بن جعفر	٣١
عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب	١١٥
عبد الله بن الحوساء الطائي	١٦١
عبد الله بن الزبير	١٨-٣٠-٢٢٢
عبد الله بن عامر بن كريز	٩٧-٩٩
عبد الله بن المؤمن	٥٨
عبد المطلب	١٦٦
عبد الملك بن مروان	٢٠٤

عتبة بن أبي سفيان بن حرب	٢٠٥-٢٠٦-٢٠٩-٢١٦
عثمان	٨-١٨-١٢٢-١٣٦-١٨٧-١٩٩-٢٠١-٢٠٢-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢-٢٢٦
عدي بن حاتم	٨٧-٨٨
علي بن أبي طالب عليه السلام	٧-٨-١٠-١١-١٨-٣٠-٣١-٣٤-٣٧-٣٩-٤٠-٤١-٤٦-٤٨-٥٢-٥٦-٥٩-٦١-٦٥-٦٨-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٩٣-٩٥-٩٧-٩٨-١١٣-١١٥-١١٦-١٣١-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٧-١٤٨-١٥٩-١٦٠-١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٨٦-١٨٧-١٩٩-٢٠١-٢٠٢-٢٠٣-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١٥-٢١٩-٢٢٠-٢٢١-٢٢٦-٢٢٨
عمر بن الخطاب	٢٠٨

علي بن جعفر بن محمد	٣٨
علي بن الحسين عليه السلام	٦٠-٢٠١
علي الحبوبي	٢٥
عمار بن ياسر	٢٠٥-٢٢١
عمر بن علي بن الحسين	٣٩
عمرو بن الزبير	٢٢
عمرو بن العاص	٣١-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٧-١٧٨-١٨٠-١٨٨-١٩٢-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧
عمر بن عبد العزيز	١٣٦
عمرو بن عثمان بن عفان	٣٣
عمير بن اسحاق	٣٣
عيسى بن مريم عليه السلام	٣٨-٣٩-٤٠-٤٧-٤٧-٥٠

فاطمة الزهراء عليها السلام	١٠-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٩-١٧١-
الفراء	١٤٧
فيليب حتّي	١٣
القاسم بن فضل الجذامي	١١٦
قيس بن الاشعث	٧٢
قيس بن سعد بن عبادة	٥٨-٧٢-٩٦-١٦١
قيلة (نثيلة) (قتيلة)	١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧١
كمال السيد	١٠٣
لوط بن يحيى	٣٧-٧٠
المبرد	٢٠-٢٣-١٠١-١٦٠
مجاهد	٥٨
محمد صلى الله عليه وآله	١٨-٣٤-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٨-٥١-٥٥- ٥٧-٥٩-٦٠-٦١-٦٨-٦٩-٧٣-٩٩-١١٧- ١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٩-١٣٢-١٣٤-

	١٣٥-١٣٦-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٥٨-١٧٤-١٨٣-١٨٤-١٨٦-١٨٧-٢٠٤-٢٠٩-٢١٠-٢٢٦-٢٢٨
محمد باقر الصدر	٥٣-٦٢-٩١-٩٥-١١٣
محمد بن اسماعيل الاحمسي	٣٠
محمد بن الحسن الاشناني	٣٠
محمد بن عبد الله بن الحسن	٩
محمد حسن آل ياسين	١١٢
محمود أبو رية	٩-١٨٧
مروان بن الحكم	١٧٩
المسعودي	١٠
مصعب عبد الله بن مصعب الزبيري	٢٠٥

معاوية	٨-١٠-١٣-١٩-٣١-٦٢-٦٨-٦٩-٧٠٧٢- ٧٣-٧٤-٧٦-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٧-٩٠- ٩١-٩٥-٩٦-٩٧-٩٩-١٠٢-١٠٣-١٠٤- ١٠٥-١٠٧-١١١-١١٢-١١٣-١١٤-١١٥- ١١٦-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦- ١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣٢-١٣٣-١٣٤- ١٣٦-١٣٨-١٣٩-١٤٦-١٤٩-١٥٣-١٥٨- ١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٢-١٦٤-١٦٦-١٦٧- ١٦٨-١٧٠-١٧١-١٧٥-١٨٨-٢٠١-٢٠٦- ٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢١٤-٢١٦- ٢٢٠-٢٢٢-٢٢٧
المغيرة بن شعبة	٩٩-١٦٤-١٧٩-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٩
المقريزي	٢٠٢-٢٠٤
مكي بن ابراهيم	١١٧
موسى عليه السلام	٣٨-٤١-٤٨-٦٠
ميثم الموسوي	٢٥

ميكائيل	٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٦-٥١
النحاس أبو جعفر	١١٦
هاشم	١٦٦
هند بنت ابي سفيان	١١٥
هند بنت عتبة	١٦٦-١٦٨-١٧٠
هنري لامنس	١٣-١٤-١٥
واصل بن عطاء	٢٣-٣٣
الواقدي	١٥٨
وكيع	٣٨
يزيد بن معاوية	١٩
الوليد بن عقبة بن ابي معيط	٢٠٥-٢٠٦-٢٠٩
يزيد بن الحارث	٧٢
يزيد بن معاوية	١١٣
يوحنا الدمشقي منصور بن سرجون	١٨٦

يوسف عليه السلام	٨
يوسف بن عمر	٢٠٥
يوشع بن نون	٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٨-٥٠

❊ ❊

فهرس الكتاب

مقدّمة المركز ٧

المقدّمة ٩

التمهيد: في شَكلِ الخطبةِ ومضمونِها ومناسبتِها وإمكاناتِ الخطيب ٢٩

الخطبة الأولى: خطبة نعي أمير المؤمنين عليه السلام ٣٩

الخطبة الثانية: خطبة البيعة واستحقاق الولاية.......................... ٥٧

الخطبة الثالثة: خطبة الحثّ على الجهاد ٧٣

الخطبة الرابعة: خطبة اليأس من مواصلة القتال ٩٥

الخطبة الخامسة: خطبة الموادعة وتسويغ الصلح ١٢٣

الخطبة السادسة: خطبةُ الثبات وردِّ التجاوزات ١٥٩

الخطبة السابعة: خطبة المناظرة في المحاسن والمساوئ ١٧٩

الخطبة الثامنة: مناظرة ردّ الاعتبار لمنهج أمير المؤمنين عليه السلام.................٢٠١

الخاتمة...٢٢٧

المصادر.. ٢٣١
فهرس الآيات.. ٢٤٣
فهرس الاحاديث.. ٢٤٩
فهرس الاشعار.. ٢٥١
فهرس الأحداث ووقائع.. ٢٥٥
فهرس الاماكن.. ٢٥٩
فهرس الامم والجماعات والفرق.. ٢٦١
فهرس الأعلام.. ٢٦٥
فهرس الكتاب.. ٢٨١

من أجل التواصل بين المركز والقارئ

عزيزي القارئ الكريم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نشكر لك اقتناءك كتابنا: (خطب الامام الحسن ﵇ دراسة لغوية في ضوء المناسبة للدكتور مهدي صالح سلطان) ورغبة منا في تواصل بنّاء بين المركز والقارئ، وباعتبار أن رأيك مهمٌ بالنسبة لنا، فيسعدنا أن تُرسل إلينا دائماً بملاحظاتك، لكي ندفع بمسيرتنا سويّاً إلى الأمام.

الاسم الثلاثي واللقب: .... الوظيفة (اختياري): ....

المؤهل الدراسي: .... السن (اختياري): ....

العنوان (اختياري):

الدولة: .... المدينة: .... الحي: .... الشارع: .... رقم الدار: .... ص ب: ....

الهاتف (اختياري): ....

البريد الألكتروني: ....

❖ من أين عرفت هذا الكتاب؟

○ أثناء زيارة مكتبة ○ ترشيح من صديق ○ إعلان ○ معرض ○ غيرها

❖ من أين اشتريت الكتاب؟

اسم المكتبة أو المعرض: .... المدينة: .... العنوان: ....

❖ ما رأيك في الكتاب؟

○ ممتاز ○ جيد ○ عادي (لطفاً وضح لِمَ) ....

❖ ما رأيك في إخراج الكتاب؟

○ عادي ○ جيد ○ متميّز (لطفاً وضح لِمَ) ....

❖ ما رأيك في سعر الكتاب؟

○ مناسب ○ معقول ○ مرتفع (لطفاً أذكر سعر الشراء) .... العملة: ....

عزيزي القارئ انطلاقاً من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة... فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك:

....

....

....

....

عنوان المراسلة:

العراق- النجف الأشرف- شارع المثنى- مركز الإمام الحسن ﵇ للدراسات التخصصية

الموقع الرسمي: www.imamhassan.org | البريد الألكتروني: info@imamhassan.org

هاتف: ٠٠٩٦٤٧٨٠٣٣٥٨٠٢٠ | AlimamAlhasan47/